

مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية

الإلحاد للمبتدئين

دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد

د. هشام عزمي





دار الكاتب للنشر والتوزيع
Elkateb for Publishing and Distribution

الإلحاد للمبتدئين

دليلك المختصر في الحوار
بين الإيمان والإلحاد

تأليف

د . هشام عزمي

دار الكاتب للنشر والتوزيع

Elkateb for Publishing and Distribution

الإلحاد للمبتدئين: دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد

تأليف:
د. هشام عزمي

الطبعة الأولى: ديسمبر ٢٠١٤
رقم الإيداع: ٢٥٦٢٩ / ٢٠١٤
الترقيم الدولي: ٥-٥-٨٥١٦٥-٩٧٧-٩٧٨

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر (دار الكاتب) أو (مركز براهين) وإنما عن وجهة نظر المؤلف.

دار الكاتب للنشر والتوزيع – الإسماعيلية – مصر
(٠٠٢)٠١٢٧١٠٣١٢١٨ – (٠٠٢)٠١٠١٥٥٧٧٤٦٠

الإلحاد للمبتدئين



«مركز براهين» لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية هو مركز بحثي مستقل، يعمل بشكل رسمي من خلال موقعه على شبكة الإنترنت ويُعنى فقط بالعمل في المجال البحثي الأكاديمي لتوفير إصدارات متعددة (كتابية - مرئية - سمعية) على درجة عالية من الدقة والموضوعية والتوثيق يسعى من خلالها لتحقيق رسالته.

- رؤية المركز: عـــالم بـــلا إلحـاد.

- رسالة المركز: المساهمة النوعية في تفكيك الخـطاب الإلـــحـادي ونقد مضـامينه العلميـة والفلسفية وأبعاده التاريخية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية وبناء التصورات الصحيحة عن الدين والإنسان والحياة ومعالجة النوازل العقدية انطلاقاً من أصول الشريعة ومحكمات النصوص كل ذلك بلغة علمية رصينة وأسلوب تربوي هادف.

المشرف العام: أ. عبد الله بن سعيد الشهري

مدير المركز: م. أحمد حسن

اللجنة العلمية: د. هيثم طلعت - أحمد يحيى - مصطفى قديح

الإدارة التنفيذية: تتولى إدارة (دار الكاتب للنشر والتوزيع) مهام الإدارة التنفيذية للمركز.

مستشار الشؤون القانونية: أ. محمود بسيوني عبد الله

الموقع الرسمي: www.braheen.com

للتواصل والاستفسارات: info@braheen.com

فيسبوك: fb.braheen.com

تويتر: t.braheen.com

يوتيوب: y.braheen.com

إهداء

إلى أحب الناس إلى قلبي

إلى أبي وأمي

أسال الله جل وعلا أن يعينني على برهما

﴿وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

الإسراء: ٢٤.

المؤلف


مُقَدِّمَة

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمدَ لله تعالى، نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله تعالى من شرورِ أنْفُسنا ومن سيئات أعمالنا، إنَّهُ منْ يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِل فلنْ تجدَ له وليًّا مرشدا، أما بعد.

في إحدى ليالي نوفمبر عام ٢٠١٤م فوجئتُ بالعديد من الاتصالات الهاتفية من المعارف والأصدقاء تخبرني بأنَّ أحدَ المذيعين المعروفين بتوجههم الماركسيِّ خرجَ في برْنامجه يسبُّ ويشْتُمُ المعلنين عن دورةٍ علميَّةٍ لمقاومة الإلحاد، وكنت وقتها مدعوًّا من قِبَلِ (مركز الفتح للبحوث والدراسات) لإلقاء محاضرتيْن في هذه الدورة بالاشْتراك مع الدكتور الفاضل (هيثم طلعت) والأستاذ المهذب الخلوق (مصطفى نصر قديح)، في الحقيقة لمْ أكترثْ كثيرًا لهذا الأمْرِ لأنَّهُ قد سبَقَهُ هجومٌ ضارٍ من صحفيِّين وإعلاميِّين على هذه الدورة اشتمل على مطاعنَ واتهاماتٍ وسوءِ طويَّة مما دفَعَني فيما بعد لاتخاذ إجراءاتٍ قانونيةٍ تجاه بعض هذه الاتهامات التي تضمنت سَبًّا وقذْفًا يؤاخِذُ عليه القانون.

لم تكنْ هذه الدورةُ هي أوَّل علاقتي بملف الإلحاد الجديد في العالم العربي، ففي عام ٢٠٠٤م كنتُ أحدَ المشاركين في تأسيس (منتدى التوحيد) المتخصص في الحوار حول الإلحاد والمذاهب الفكرية المعاصرة، وقد شاركت -وما زلت أشارك- في الحوارات التي دارتْ داخل هذا المنتدى الكبير مع ملاحدةٍ ولادينيين (عرب وأكراد وأمازيغ وتركمان وأفارقة) من مختلف بلاد المسلمين على مدار سنوات عديدة، وكان المنتدى يصدرُ مجلةً إليكترونيةً مجانيةً يتمُّ توزيعُها عن طريق شبكة الإنترنت، ثُمَّ صارتْ له قناةٌ مرئية على اليوتيوب وصفحة على الفيس

بوك وحساب على تويتر، ووصل في عام ٢٠١٠م أنْ كانتْ له غرفةٌ حواريّةٌ في برنامج (البالتوك) الشهير استمرت عامًا أو يزيد. وكان هذا المنتدى سببًا في هداية أفواج من الملحدين والمتشككين والحيارى إلى الإسلام، كما كان سببًا في اكتسابي أنا شخصيًّا الكثيرَ من الخبرة في حوار الملاحدة واللادينيين ومعرفة مسالكهم وطُرُقِهم في طَرْح الشبهات وفَهْمِ عقلياتهم وذهنياتهم ومواطن استشكالاتهم، بالإضافة إلى اكتسابِ عددٍ كبيرٍ جدًا من الأصدقاء والأحباب الذين يشاركونني نفسَ القضية الدعوية والذين تعلّمْتُ منهم الكثيرَ والكثيرَ وما زلْتُ أتعلّمُ منهم حتى اليوم.

في أواخر عام ٢٠١٣م قامتْ نخْبَةٌ متميزةٌ من روّاد منتدى التوحيد بقيادة الأستاذ الفاضل (عبد الله الشهري) بإنْشاء (مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية) ليكونَ خطوةً جديدةً في تناول ملْف الإلحاد خارج إطار الشبكة العنكبوتية، وقام المركزُ فعلًا بإصدار عدَّةِ أعدادٍ من (مجلة براهين) تميَّزَتْ بالمستوى العلميّ والشرعيّ الرفيع؛ لكنّ العملَ على الأرض في معالجة الإلحاد بدأَ قبْلَ هذا بفترةٍ حيْثُ استضافتْني (جمعية سخاء) للتعريف بالإسلام للمشاركة في دوْرةٍ عن الإلحاد مع الدكتور الحبيب (أحمد الغريب) والأخ الفاضل اللبيب الأريب (أحمد جاويش) في سبتمبر عام ٢٠١٢م، وبعدها قمتُ بالمحاضرة عن الإلحاد وأطروحاتِهِ في العديدِ من المناسباتِ والندوات والفعاليات الدَّعَوِيّةِ والفكريةِ كانتْ أبرزُها الدورةُ التي أقامَها مركز (الفتح للبحوث والدراسات) في يونيو ٢٠١٤م عن مُقاومَةِ الإلحاد حيْثُ ألْقَيْتُ أربعَ محاضراتٍ في يومَيْن عن الإلحاد ونقده والأدلة على وجود الله ونظرية التطوُّر.

في شهر يوليو من نفس العام ٢٠١٤م شاركتُ مع الدكتور الفاضل (محمود نجا) المدّرسُ بكلية (طب المنصورة) في ستّ حلقاتٍ على قناة (الرحمة الفضائية) في شهر رمضان الماضي حيْثُ استضافنا فضيلةُ الدكتور (محمد داود) في برنامجه (حوار الإيمان والإلحاد) للكلام حوْلَ نقْدِ نظريَّةِ التطور، ثم تكررتُ هذه اللقاءاتُ الفضائيةُ بعد شهر رمضان حتى اليوم وشارك فيها أيضًا الدكتور هيثم طلعت والأستاذ مصطفى قديح.

قبْلَ هذه الآونةِ اقترحَ عليَّ الأخُ الفاضلُ الباحثُ الشّرْعِيُّ المتميز (أبو فهر أحمد سالم) أنْ أكتبَ كتابًا أضُمُّ فيه محتوياتِ المحاضرات التي ألْقِيها عن الإلحاد الجديد، فألقى اللهُ في قلبي الحماسَ والنشاطَ لهذه الفكرة، وشجعني على القيام بها فضيلة الشيخ (محمد سعد الأزهري) مدير مركز الفتح للبحوث والدراسات، وكنت أنْوِي أيَّامَها الكتابةَ فقط عن الإلحاد الجديد ونقْد أبْرَزِ أطروحاته، ثُمَّ بدا لي أنْ أزيدَ عليه بالكتابة في الأدلّة على وجود الله حَيْثُ سَعَيْتُ في جمعها من جميع المصادر المتاحة في حدود إمكانياتي ثُمَّ قمْتُ بتصنيفها وتقسيمها حتى تكونَ سهلةَ التناول بالنسبة للقارئ، وأسأل الله عز وجل أنْ أكونَ وُفِّقْتُ في طرْحها نظرًا لما وجدْتُهُ من عدمِ وجودِ مصَنَّفٍ جامعٍ شاملٍ في المكتبة العربية الإسلامية يحْرِصُ على جمْعِ كُلِّ الأدلّةِ على وجود الله، وأرجو أنْ يكونَ هذا العرضُ السريعُ لها في كتابي فاتحةً لأعمالٍ أخرى أكثرَ عُمْقًا ينهضُ لها الباحثون المتخصصون في هذا الباب.

وطالما بلغْنا هذا القدرَ في الكلام عن محتويات الكتاب، أرى أنَّهُ يجدرُ بنا تقديمُ عرْضٍ مجملٍ لموضوعاته، فالكتاب ينقسم إلى أربعة أبواب:

الباب الأولُ بعنوان الإلحاد الجديد، ويبدأ بالتعريف بظاهرة الإلحاد الجديد في الغرب ونَشْأتها وأبرز رموزها وأطروحاتها، ثُمَّ فصْل عن أسباب الإلحاد بين الشباب العربي استعرضتُ فيه أبرزَ الأسباب التي ذكرها من سبقني من الباحثين ثُمَّ اضفْتُ إليها أسبابًا اخرى مقسمةً موضوعيًا، ثم فصْلٌ عن سمات الإلحاد الجديد في الغرب، ثُمَّ فصل عن سمات عقلية الملحد في مقابل عقلية المؤمن.

الباب الثاني بعنوان الأدلة على وجود الله، وهو في ثلاثة فصول: النطرةُ ودلالَتُها على وجود الله، والأدلةُ العقليةُ على وجود الله، والمرجحاتُ الخارجيةُ للإيمان على الإلحاد. وقد راعيْتُ في هذا الباب التقسيمَ والتصنيفَ النوعيَّ للأدلة خصوصًا الأدلة العقلية المستمدة من النظر العقلي.

الباب الثالث بعنوان أطروحات الإلحاد في مناوئة الأدلة على وجود الله، وهو في أربعة فصول: سؤالهم من خلق الله، ومشكلة وجود الشر، وزعمهم تناقض القدرة الإلهية، وتناقض العلم الإلهي. وفي كلّ فصْلٍ اهتممتُ بالجواب عن الشبهة الإلحادية بشكل يقنع العاقل المنصف.

الباب الرابع بعنوان نقد أطروحات الإلحاد، وهو في فصلين: سؤال الأخلاق، وحرية الإرادة. وفيه تناولت بالنَّقْدِ موقفَ الإلحاد من القضيتين المذكورتين مبينًا تناقضَهُ الداخليَّ وتناقضَهُ مع العقل والفطرة والحس.

الخاتمة بعنوان سُبُلُ مكافحة الإلحاد، وفيها تقدمتُ ببيان أهمية تناولنا لهذا الملف، ثُمَّ كيفية تناوله إمّا عن طريق تقسيم محاور العمل فيه أوْ عنْ طريقِ اقتراحِ بعضِ التوصيات المنهجيةِ المفيدةِ للباحثين والعاملين فيه.

وأحْمَدُ اللهَ حمدًا كثيرًا جدًّا على توفيقي لإتمامه، ولا يَتِمُّ شكرُ الله إلَّا بشكر من كانوا عوْنًا لي في خروج هذا الكتاب، وأولُهم زوجتي الحبيبة، وكذلك بنتاي الصغيرتان (سما ومنة) اللتان كانتا مصدرَ إلْهامٍ كبيرٍ لي خصوصًا في المباحث المُتَعَلِّقَةِ بالفطْرَةِ الربَّانية في الأطفال. وأتوجَّهُ بالشُّكْرِ الجزيل لكلٍّ من فضيلة الدكتور (خالد بن منصور الدريس) أستاذ الحديث بجامعة الملك سعود والأستاذ (عبد الله الشهري) المشرف العام على مركز براهين والمهندس (عبد الله العجيري) مدير مركز تكوين، فَهُمْ من أكثر الشخصيات التي اسْتفدْتُ بطرحها الفكريِّ في قضية الإلحاد بالإضافة إلى أكابر المحاورين بمنتدى التوحيد الذين لا أحصي أسماءهم، ويظهر أثرُ ذلك بالغًا لمن يقرأ هذا الكتابَ المتواضع. وشكرًا للأخوين الفاضلين (سلطان العميري وأحمد جاويش) على اطلاعهما على هذا الكتاب وملاحظاتهما الموضوعية بالغة الأهمية والتي ساهمت في جعله أفضلَ طرحًا وتنظيما.وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم على نبينا محمد وسلم.

د. هشام عزمي

الفصل الأول

الإلحاد الجديد

الإلحاد الجديد

تعريفات:

الإلحادُ لُغويًّا يعني الانحرافَ أوْ العدولَ عن الطريق المستقيم، وقد جرى الاصطلاحُ على التعبيرِ بلفْظِ الإلْحاد عن إنكار وجود الله سبحانه وتعالى، فالمُلْحِدُ هو المنكرُ لوجود الله تعالى حسب الاصطلاح المتداول؛ لكنْ عند تناولِ ظاهرةِ الإلحاد الجديد لا بُدَّ من الانتباه إلى أنَّها لا تمثِّلُ لونًا واحدًا من ألوان الطيف -خصوصًا على المستوى العربي- بل هي تصف ألوانًا متعددة وأطيافًا متفاوتةً داخلَها لابُدَّ من التميز بينها مراعاةً للدِّقة والموضوعيَّة في وصْفِ الواقع.

الملحد Atheist: هو المنكرُ لوجود الله تعالى، سواء لاعتقاده الجازِمِ باسْتحالة وجود خالق Strong Atheist أوْ أنَّ وجودَهُ أمرٌ ضعيفُ الاحتمال جدًّا Defacto Atheist.

اللاأدْري Agonistic: هو المتوقِّفُ في مسألة وجود الله، ويرى أنَّ أدلةَ إثباتِ وجودِهِ تتكافأ مع أدلَّةِ نفْي وجوده، وبالتالي لا يمْكِنُ بلوغُ حُكْمٍ عقلي في هذه القضية.

الربوبي Diest: هو المُعْتِقِدُ في وجود إله خالق؛ لكنَّهُ يرى أنَّ هذا الإلهَ خلقَ الكوْنَ ثُمَّ تركَهُ يعمل كالساعة الزنبركية التي أُدير مفتاحها ثم تُركت لتعْمَلَ وحْدَها بدونِ توجيهٍ ولا تدبير.

اللاديني Irreligious: هو المُنْكِرُ للأديان عامةً، وهو قد يكونُ ملحدًا أو لاأدريًا أوْ ربوبيًا، وعلى النقيضِ منهُ الدينيُّ الذي يؤْمِنُ بدينٍ منظَّمٍ لهُ كتابٌ موحَى به وأركانٌ للعقيدة وشعائرُ وعباداتٌ ودورُ عبادة.

ثمَّ ينْبغي التنبيهُ على نقطتين متعلقتين بهذه التعريفات:

الأولى: أنَّ هذه التعريفاتِ ليستْ مراحلَ في طريق البحث عن الحقيقة بلْ هي مواقفُ نهائيةٌ من قضية وجود الله. فاللاأدريُّ مثلا -حسب التعريف- ليس المقصودُ به الشخصَ المتحيِّرَ الباحثَ عن الحق المتوقفَ بين إثبات وجود الله أو إنكاره، بل على العكس هو شخصٌ يؤمن أنَّ الأدلَّةَ على وجود الله وعدمه متكافئةٌ وأنَّ العقلَ البشريَّ و الخبرةَ البشريةَ لا يمكِنُهما الإجابةُ على هذا السؤال الغَيْبِي.

الثانية: أنَّ البعضَ قدْ يحْسِبُ أنَّ الربوبيَّ الذي يؤمنُ بوجود إلهٍ يُعَدُّ أقربَ لأتْباع الأديان وأبعدَ عن الملاحدة. لكنَّ الحقيقةَ أنَّ عداءَ القوْمِ للأديان وأهلِها كبيرٌ وهُمْ أقْربُ رَحِمًا وأكثرُ ميْلًا للملاحدة وأكثرُ تعاطفًا معهم.

نبذة مختصرة:

الإلحادُ الجديدُ New Atheism هو اصْطلاحٌ مُعْتبرٌ في الدوائر الثقافية والفكرية والفلسفية، رغْمَ وجود تَحَفُّظاتٍ على استعماله في الدوائر الأكاديمية، ويشير إلى موْجَةٍ إلحاديةٍ متعاظمةٍ في الغرب بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، فقبْلها كان الملحدون لا ينخرطون كثيرًا في الطَّعْن على الأديان ولا الدعوة لاستئصالها ومحْوِها من الوجود في المُجْتمع وفي عالم الأفكار والعقول؛ لكنْ بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م والتي اتُّهِمَ فيها دينُ الإسلام وتعاليمُهُ ثُمَّ ردُّ فعل الإدارة الأمريكية التي أعْلَنَ رئيسُها عنْ شنِّ حرْبٍ صليبيَّةٍ على العالم الإسلاميِّ وقامَ فعْلًا بغزو (أفغانستان والعراق)، بعد هذه الأحداث شَعُرَ الملحدون أنَّ الأديانَ سوف تؤدي إلى قيام حرْبٍ عالميةٍ ثالثةٍ تبيدُ الحضارةَ على كوْكب الأرض وتقضي على الوجود البشري بأكمله، وأنَّ هذا إنْ لمْ يحْدُثْ في العاجل فسوف يحدثُ لا محالة -من وجهة نظرهم- في مستقبل الأيام، وأنَّ الأديانَ بهذه

الصورة صارتْ خطرًا يهدِّدُ الحضارةَ والإنسانيةَ ويجثُمُ على صدرها، وأنَّهُ لا خلاصَ للجنْس البشري ولا نجاةَ من هذا المصير الأليم والهلاك الوشيك إلا بالتَّخَلُصِ من الأديان كلِّها تمامًا وأنْ يصبحَ العالمُ بلا أديان.

يمكنُنا بالفعل أنْ نؤَرِّخَ لبداية صعود الإلحاد الجديد بأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، ففي عام ٢٠٠٤م صدر كتاب الملحد (سام هاريس Sam Harris نهاية الإيمان End Of Faith) الذي كان من أكثر الكتب مبيعًا في أمريكا، وكان فاتحةً سلسلة من كتب الإلحاد الأكثر مبيعًا في العالم. في هذا الكتاب أشار سام هاريس إلى أنَّ أحداث ١١ سبتمبر -التي ألقى فيها اللوْمُ على دين الإسلام بشكل مباشر- هي الدَّافعُ لكتابته هذا الكتاب، وهاجم الإسلامَ واليهوديةَ والنصرانيةَ بشكْلٍ عنيف. في هذا الكتاب ذَكَرَ الاعتقادَ الدينيَّ -ضمْنَ قائمةٍ تحوي كذلك الجهلَ والكراهيةَ والجشع- كأحدِ الشياطين التي تعْبَثُ في عقول البشر، ثم يرى هاريس أنَّ الدينَ هو الأداةُ الرئيسيَّةُ في يَدِ الشيطان Devil's Masterpiece.[1] وبعد عامين قام هاريس بكتابة (رسالة إلى أمة نصرانية Letter To A Christian Nation) وواصل الإهاناتِ معتبِرًا الدينَ في الجانب الخاطئِ في حزبِ الأفكار[2]، وأنَّ خلاصَ العالم يعْتِمُدُ على انْتصار هؤلاء الذين يقفون في الجانب الصحيح، أيْ ضِدَّ الدين.

من ضمْنِ هؤلاء الذين يقفون في الجانب الصحيح -من وجهة نظر هاريس- الفيلسوف الملحد (دانيل دينيت Daniel Dennet) الذي يسْعَى إلى فكِّ ألغاز الدِّين في كتابه (إبطالُ السحر: الدين كظاهرة طبيعية Breaking The Spell: Religion As A Natural Phenomenon) الذي صدر عام ٢٠٠٦م، والذي يلْعَبُ فيه دينيت دوْرَ الحكيم العاقل في نقْده لظاهرة الدين؛ لكنَّ ميولَهُ الإلحاديةَ تظْهَرُ

---

[1] ص ٢٢٦.

[2] ص ٨٠.

بوضوحٍ حيْثُ إنَّ الدينَ –من وجهة نظره– قوةٌ خطيرةٌ تحتاجُ إلى دراسة علميَّةٍ حصيفةٍ من أجْلِ التحكُّمِ فيها والسيْطرةِ على شرورها. وهو يرى أنَّ البراهينَ على وجود الله ضعيفةٌ وواهيَةٌ لمْ تستغرقْ في إبطالها إلَّا ستُّ صفحاتٍ خفيفة، مشيرًا إلى ما كتبه (ريتشارد دوكينز) منْ نقد لهذه الأدلة في كتابه الشهير (وهْمُ الإله). وبما أنَّ الاعتقادَ الدينيَّ يمْكنُ تفسيرُهُ بدون اللجوء إلى فكرةِ وجود إله، فهو في نظر دينيت ليس إلَّا وهم. وهذا الوهْمُ ليس لهُ كبيرُ فائدة، بل ما ينْبغي مناقشتُهُ ودراستُهُ بخصوصِهِ هو مدى ضرَرِهِ وخطره.

في عام ٢٠٠٦م أيضًا عرض ريتشارد دوكينز Richard Dawkins الفيلمَ الوثائقيَّ (أصْلُ كلِّ الشرور Root Of All Evils) طاعنًا في وجود الله عز وجل وفي جميع الأديان، ثُمَّ أتْبَعَهُ بكتابه الأشْهر على الإطلاق (وهم الإله The God Delusion) الذي ظلَّ شهورًا طويلةً على قائمة الكتب الأكثر مبيعًا في العالم وطُبِعَتْ منه ملايينُ النسخ وتُرْجِمَ إلى العديد من اللغات.

كذلك خرج علينا الملحد (فيكتور ستينجر Victor Stenger) عام ٢٠٠٧م بكتاب (الله: الفرضية الباطلة God: Failed Hypothesis) والذي يسْعَى فيه لإظهار أنَّ التقدمَ والتطوُّرَ العلميَّ الحديثَ قد أثْبتَ بشكلٍ قاطعٍ أنَّ اللهَ غيرُ موجود. ثُمَّ ينتقل إلى الكلام المعتاد للملاحدة عن كوْننا لا نحتاجُ الدينَ ليعطي حياتَنا المعنى والقيمةَ بل هو مصدرُ الشرِّ في العالم.

لكنَّ الهجومَ الأكثرَ ضراوةً وغضبًا وهياجًا على الدين يأتي من كتاب (كريستوفر هيتشنز Christopher Hitchens) (الله ليس عظيمًا: كيف يُسَمِّمُ الدِّينُ كلَّ شيء God Is Not Great: How Religion Poisons Everything) الصادر في ٢٠٠٧م. ويسْعَى هذا الكتابُ إلى الحفْرِ والتنْقيب في تاريخِ الأدْيان ليكشفَ جرائمَها وشرورَها التي حلَّتْ على العالم على مدار التاريخ. ويجْعَلُ هذه الأحداثَ التاريخيَّةَ هي المعبرةُ بحقٍ عن جوهر الدِّين وحقيقته، فالدينُ –من وجهة نظره–

قد أدّى بأعدادٍ من البشر لا حصْرَ لها إلى ارتكاب أفعالٍ شنيعةٍ يشيب لها الولدان. ورغم اقرارِه بأنَّ التنظيماتِ اللادينيَّةَ قد ارتكبتْ جرائمَ مماثلةً[٣]، إلَّا أنَّهُ يعْتقدُ أنَّ الدينَ لا يمْلِكُ أيَّ محاسنَ تقابلُ هذه الشرور، ومن يعْتقدُ وجودَ هذه المحاسنَ ليس إلَّا شخصٌ غارقٌ في سوء الفهْمِ والأحْلامِ الورْديَّة.[٤]

طبْعًا لا يمْكِنُ الإلْمامُ بكلِّ الكُتُبِ ولا كلِّ الأطروحات التي تطْعَنُ في الدِّين ضمن موْجة الإلحاد الجديد؛ لكنْ حسْبُنَا هنا أنْ نشيرَ إلى أبرزها. وفي الحقيقة فقدْ خرجتْ علينا هذه المجموعةُ من الكتب الإلحادية التي حقَّقَتْ مبيعاتٍ كُبْرى ممّا جعلَها تتصدرُ قائمةَ الكتب الأكثر مبيعًا لأسابيعَ وشهورٍ وهي تعْطينا فكرةً وافيةً عن دوافع وسمات ظاهرة الإلحاد الجديد في الغرب.

وفي هذا الصدد تجبُ التفْرِقَةُ بين الإلحاد الجديد والإلحاد الشيوعي لأنَّهُ استقرَّ لدى العديدِ من المفكرين والدعاة في عالمنا العربي ارتباط الإلحاد والدعوة إليه بالشيوعية، وأنّه ما دامتْ الشيوعية في أفول فالمتوقَّعُ للإلحاد أنْ يكونَ كذلك. وهذا توصيفٌ غيرُ سليمٍ لحقيقة الحالة الإلحادية وخطورته أنَّهُ يؤدي إلى الاستهانَةِ بها وعدم القدرة على التعامل مع أطروحاتها بدقَّةٍ وموضوعية. كذلك تجبُ التفرقةُ بينَهُ وبين إلحاد عصْرِ التنوير فهو يتميزُ بالغزارة الفلسفية بخلاف الإلحاد الجديد الذي يتجاهل الفلسفة ويركز على أطروحاتٍ مشتقةٍ من معطياتِ العلم الطبيعي. فالإلحاد الجديد الآن لا يمْكِنُ تناولُهُ كأحد أعراض المذهب الشيوعيّ أوْ كردٍّ فعْلٍ لاضطهاد الكنيسة وصراعها مع العلم، بل هو ظاهرةٌ ذاتُ ظروفٍ تاريخيةٍ مختلفةٍ تمامًا عن الظواهر الإلحادية السابقة.

---

[٣] ص ٦.

[٤] ص ٥.

كذلك الإلحادُ في عصْرنا الحالي يخْتلفُ عنْ الإلحاد التاريخيِّ القديمِ الذي كان مقتصرًا على نخبةٍ صغيرةٍ من الفلاسفة أو المفكرين في الصالونات المغلقة، وكان غيْرَ منتشرٍ على نطاق واسع بين عوام الناس، أمّا الآن فنحنُ نشهدُ دولًا وأُمَمًا كاملةً تدين بإنكار وجود الله عز وجل أوْ تتشكّكُ في وجوده، ففي الدول الاسْكنْدنافية مثل السويد والنرويج وفنلندا والدنمارك نجدُ أنَّ غالبيةَ السُّكان من الملحدين واللاأدريين، في ألمانيا ٣٠٪ من السكان ملاحدة، في فرنسا ٤٠٪ ملاحدة، وهكذا. فلم يعدْ الإلحادُ حالةً نخبويَّةً ضيقة، بل صارَ لها وجودٌ شعبيٌّ وقاعدةٌ عريضةٌ بين أُمَمٍ من الخلق. فلمْ يعُدْ من المناسب الآن الكلامُ عن الإلحاد على أنَّهُ شذوذٌ مجتمعيٌّ أوْ أنَّ الملاحدةَ أقليَّةٌ ضئيلةٌ لا يمْكِنُ أنْ يُكْتَبَ لها الانتشار.

أسباب وقوع الشباب العربي في الإلحاد

في عام ٢٠١٢م نشر معهد (جالوب الدولي WIN-Gallup International) وهو غيرُ معهد جالوب الشهير في واشنطون، بحثًا ميدانيًا حوْلَ نسبة الملحدين في العالم[٥] ظهر فيه أنَّ نسبَتَهم في المملكة العربية السعودية تبلغ ٥٪ وهي نسبةٌ مساويةٌ للولايات المتحدة الأمريكية حسب نفس التقرير، ورغم التشكيكات الكثيرة حوْلَ هذا البحثِ ومصداقية نتائجه خصوصًا هذه النسبةُ غيرُ المنطقيَّةُ في السعودية إلَّا أنَّهُ، على الأقل يشير إلى وجود مؤثر للإلحاد، ويدَقُّ ناقوسًا خطيرًا للعمل على بحْثِ أسباب وقوع الشباب العربي في الإلحاد والسَّعْي لإزالتها أوْ على الأقلّ معالجتها وتناولها بجدية.

---

(5) WIN-Gallup International, "Global Index Of Religiosity And Atheism" 06/08/2012. Last Accessed 18/12/2014.

- لماذا نسعى لمعرفة أسباب الإلحاد في مجتمعاتنا العربية؟

١) تفيدُنا معرفةُ أسبابِ الإلحاد في توصيف الحالة الإلحادية وتشخيصِها بدقَّةٍ وموضوعيةٍ وبالتالي إجراء العلاج الصحيح. وإذا فشلْنا أوْ عجزْنا عن تحديد التَّشْخيص بشكْلٍ سليم لنْ نحددَ العلاجَ بشكل سليم. أو كما يقول (نيل ليفن Nel Levin) مؤسس علم النفس التعليمي: "التوصيفُ السليمُ يؤدي إلى كتابةِ العلاج السليم Best Description Leads To Best Prescription".

٢) معرفةُ التنوُّع الكبير في أسباب الإلحاد يجْعَلُنا أكثرَ موضوعيَّةً في تناول الظاهرة ويَقِينا من اختزالِها بشكْلٍ سطْحيٍّ في سببٍ واحدٍ فقطْ مثل المؤامرات الخارجية أوْ حُبِّ الشُّهْرَةِ أوْ الموضة أوْ حب الشَّهَوات.

يحْكي المهندسُ (عبد الله العجيري) عن موْقفٍ وقَعَ لهُ مع أحدِ طلبة العلْم عندما تطرَّقَ للْحديث عن الشباب الملحد فقال: إنَّ كلَّ هؤلاء الملحدين طلابُ شهرة.[٦] فهذا الاختزالُ المجحِفُ لأسبابِ الحالة الإلحاديَّةِ يُبْعِدُنا كثيرًا عن الموضوعيَّةِ وعنْ تَفَهُّمِ أحوال الملحدين وبالتالي يخْلُقُ حواجزَ عاليةً تحولُ بيْننا وبيْن دعْوتهم إلى الحق.

٣) كذلك معرفةُ نقاط ضعْفِنا المعرفيَّةِ والمجتمعيَّةِ التي يتَسَلَّلُ منها الإلحادُ إلى شبابنا تفيدُنا في السعي لإصلاح هذه العيوب ورتْقِها، فيَهْتَمُّ الآباءُ بالحوار مع أبنائهم الصغار والإجابة على أسئلتهم قبْلَ أنْ يكبروا ويصبحوا خناجرَ مسمومةً في قلب دينهم وأمتهم، وتهتم المؤسساتُ الدَّعَوِيَّةُ بتحصين المجتمع ضِدَّ الأفكار والأطروحات الإلحادية ونَشْرِ الأجوبةِ على تساؤلات الشباب في صيَغٍ عصْرِيَّةٍ كتابيَّةٍ وفيديويَّةٍ بحيْثُ تكونُ في متناول العوام، وتهتم مراكزُ الأبحاث بتفكيكِ

---

[٦] يوتيوب: يجب عدم تسطيح الظاهرة الإلحادية واختزالها عند التعامل معها.
https://www.youtube.com/watch?v=xEg_GzdVkOE

العلاقاتِ بيْنَ النصوص الشرعية ومعطيات العلم التجريبي وتحليلها بالشكل الذي يدْرأُ الشُّبْهَةَ ويرفعُ التعارضَ المؤْهُومَ بين النقل والعلم وهكذا.

أسباب الإلحاد في العالم العربي

يُمْكنُ تقسيمُ أسباب وقوع الشباب العربي في الإلحاد إلى أسباب شخْصِيَّةٍ واجتماعيةٍ ومعرفية؛ لكنْ قبل سرْدِها أجدُ أنَّهُ من المُهِمِّ التركيزُ على بعض الأسباب المحورية التي أبْرَزَها كثيرٌ من الباحثين في قضايا الإلحاد الجديد.

- الثورات العربية

يرى عددُ من الباحثين والمتكلمين في قضية الإلحاد أنَّ الثوراتِ من الأسْباب البارزةِ للإلحاد، فالشيخ (عبد المنعم الشحات) يرى أنَّ وقوعَ الثوراتِ من أسباب الإلحاد ويعلل ذلك بأنَّ المزاجَ الثوريَّ يدعو للثورةِ على كلِّ الثوابت ومنْ أهَمِّ هذه الثوابت الدين[٧]، كذلك المهندس (فاضل سليمان) يذْكُرُ نفسَ الرأيِ في حلقة تليفزيونية من برنامج (مصر الجديدة) على (قناة الناس) مع خالد عبد الله بتاريخ ٢٢-٥-٢٠١٣م،[٨] ويستشهد بصعود الإلحاد بعد الثورة الفرنسية والثورة البلشفية وينقل عن (ألكسي دو توكفيل) صاحب كتاب (الديمقراطية في أمريكا) الذي خصص فصْلًا من الكتاب حول الإلحاد. وممن يرى هذا الراي كذلك

---

[٧] يوتيوب: ٠١ تمهيد - الإسلام يتحدى" مدخل علمي للإيمان"- الشيخ م.عبد المنعم الشحات.
https://www.youtube.com/watch?v=Bz-WoKVJ1Xw
وقد ذكر أسبابًا أخرى كثيرة نفسية ومجتمعية، بل وغيبية مثل الشيطان.

[٨] يوتيوب: قناة الناس مصر الجديدة خالد عبد الله إلحاد الشباب بين التهوين والتهويل- حلقة ٢٢-٥-٢٠١٣
https://www.youtube.com/watch?v=v_QaS-vFKK8

(د.حسام أبو البخاري) و (د.أحمد الغريب) في حلقة من برنامج (القاهرة اليوم) مع عمرو أديب بتاريخ ٢٩-٥-٢٠١٣.[٩]

ومما يلفت النظر في هذا السبب تحديدًا أنَّ الباحثين المصريين دون غيرهم هم الذين يشيرون إليه باستمرار، ونحنُ عمومًا لا نخالفهم في أهميَّتِهِ وإنْ كنّا لا نرغبُ في تضخيمه بدليل أنَّ الإلحادَ موجودٌ في مجتمعاتٍ عربيَّةٍ وإسلاميَّةٍ لمْ تبْلغْها الثوراتُ مثل بلاد الخليج.

- صعود الإلحاد في الغرب

يرى المهندس عبد الله العجيري أنَّ هناك موْجَةً إلحاديةً عارمةً في أوروبا وأمريكا حيْثُ شهد هذا بنفسه عندما كان مسافرًا بالخارج، وأنَّ هذه الموْجةَ العاليةَ لا بُدَّ أنْ تبلغَ آثارُها مجتمعاتِنا العربيةَ بسبب أنَّنا في موْقعِ التبعيَّةِ الفكريةِ للغرب؛ لكنَّ المهندس عبد الله كان يأمَلُ أنْ يتأخَّرَ بلوغُ هذه الموجة لبلادنا العربية بعض الشيء بسبب عائق اللغة، ثُمَّ اكْتشفَ سقوطَ هذا العائق أمام الحركة النشطة جدًّا والدؤوبة لترجمة الكتب والمقالات والأفلام والوثائقيات الإلحادية إلى اللغة العربية.[١٠]

- ثنائية القابلية والتأزم

ذكر الأستاذ (عبد الله الشهري) في محاضرته ضمن فعاليات دورة (تهافت الفكر الإلحادي) أنَّ السبَبَ الأوَّلَ والأهَمَّ لوقوع الشخص في الإلحاد هو وجودُ

---

[٩] يوتيوب: عمرو اديب حلقة كاملة عن الالحاد والملحدين سؤال هل تلاحظ انتشار الإلحاد في مصر؟! لقاء مع علماء الاسلام https://www.youtube.com/watch?v=fkRupdJSkSA

[١٠] يوتيوب: فهم الإلحاد الجديد، ش.عبدالله العجيري.
https://www.youtube.com/watch?v=xB6E7bGhzkw

القابلية للإلحاد[11] وهذه القابلية قد تكون نفسيّةً أو فكرية. أما المقصودُ بالتأزّم هو أنْ يقعَ الشّخصُ في أزمَةٍ أوْ ابْتلاءٍ أوْ محنةٍ لكنَّ الابتلاءَ قد يؤدي إلى الإيمان أوْ الإلحاد على السواء، فهناك من الناس من تدْفَعُهُ المِحَنُ والابتلاءاتُ للجوءِ إلى الله تعالى والتّقرُّب منه، ومِنْهُم من تدْفَعُهُ إلى اليأسِ من روح الله؛[12] لكن إذا وُجِدَتْ القابليّةُ للإلحاد فإنّها تُحَوّلُ الأزْمَةَ والمِحْنَةَ إلى إلحادٍ فعلي، فالعاملُ الذي يدْفَعُ الشخصَ إلى الإلحاد عنْدَ الأزمات هو وجودُ القابلية للإلحاد. فالخلاصة أنّهُ إذا طرأتْ أزْمَةٌ أوْ محنةٌ أو ابتلاءٌ على الشخص الذي لديه قابلية للإلحاد، سوف تتحول هذه القابلية إلى إلحاد بالفعل، وهذا لأنَّ الأزمةَ أوْ المحنةَ أو الابتلاءَ تؤدي إلى مسار من مسارين: إما اللجوء إلى الله، أوْ اليأسِ من روح الله، فالإنسان الذي لديه قابليةٌ للإلحاد سوْفَ يمْضي في مسار اليأس من روح الله، أما الإنسانُ الذي ليس لديْه هذه القابلية فسوْفَ يمضي في مسار اللجوء لله عز وجل. فهذا هو المقصود بثنائية القابلية والتأزم.

- الطبيعة الحدية للمجتمع

ذكر الدكتور (طارق الحبيب) استشاري الطبّ النفسيّ في برنامج (بيني وبينكم) مع دكتور (محمد العوضي) في حلقاتٍ بعنوان (سيكولوجية الملحد)[13] أنَّ طبيعةَ المجتمع العربي –والخليجي على وجه الخصوص– التي لا تقْبَلُ

---

[11] يوتيوب: السبب الأهم للإلحاد هو القابلية للإلحاد.
https://www.youtube.com/watch?v=q6boKunEG84

[12] عبد الله الشهري، ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، ص٢١٤، نشر مركز نماء للبحوث والدراسات.

[13] محمد العوضي (بيني وبينكم ١٤٣٣) [٢٥] سيكولوجية الملحد ١ – قناة الراي – يوتيوب
www.youtube.com/watch?v=ml9hfuDwlDc
وللاستزادة حول النقد الموجه لراي الدكتور طارق الحبيب يرجى قراءة موضوع: رأيي في حلقات (سيكولوجية الملحد) للدكتور طارق الحبيب، منتدى التوحيد.
http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?48263

الاختلافَ ولا تجاوبُ مع تساؤلاتِ وطموحاتِ الشباب هي التي تؤدي إلى الإلحاد كتعبيرٍ عن التمرُّدِ على المجتمع؛ لكنْ يعيبُ طرحَ الدكتور طارق تضْخِيمُهُ لهذا العامل والمبالغة فيه.

بعْدَ هذا العرض لأبْرَزِ الأسباب التي اهْتَمَّ الباحثون بذكرها والإشارة إليها نَشْرع في ذِكْرِ بقيَّةِ أسباب الإلحاد الشخصية والاجتماعية والمعرفية.

أولا: الأسباب الشخصية:

وهي التي تعودُ إلى الشَّخْصِ نفسه ويمكن تقسيمُها إلى أسبابٍ نفسيَّةٍ وأسباب فكرية؛ لكنْ مراعاةً لعدم المبالغة في التقسيم سنذكرها مجموعة تحْتَ تقسيم واحد.

١) الثقةُ الزائدةُ بالنفس والغرور المعرفي:

بعضُ الشباب عندَهُ ثقةٌ زائدةٌ بإيمانه وصحَّةِ اعتقاده، وفي كثيرٍ من الأحيان يكونُ هذا الإيمانُ مجردَ إيمانٍ قلبيٍّ عاطفيٍّ ليسَ مؤسّسًا علميًّا بشكلٍ صحيح، فهو إيمانٌ بالقلب دون معرفةٍ أو علمٍ سليمٍ بالدين وأدلَّتِهِ وأسباب اليقين به. وعندما يتعرَّضُ هذا الصِنْفُ من المؤمنين لتحديَّات واستشكالات وتساؤلات الإلحاد لا يجِدُ لديْهِ من العلم أو المعرفة ما يدْفَعُ به هذه التساؤلات والشكوك وهو في نفس الوقت لا يعْتَرِفُ بجهله بدينه وبأنَّ الأجوبةَ على هذه التساؤلات موجودةٌ لكنَّهُ يجهلها فتكونُ النتيجةُ وقوعَهُ في الإلحاد.

٢) الجفاف الروحي:

عدمُ الشعور بلذَّةِ العبادة والقرب من الله والأُنْس بذكره ومناجاته تبارك وتعالى يؤدي إلى جفاف شديدٍ في المشاعر الروحانية، وهذا الجفافُ يجْعَلُ قرارَ الإلحاد يسيرًا على المرء بخلاف من عايَنَ وخَبَرَ هذه المشاعر.

٣) السطحية الفكرية:

بعضُ الشباب عندما يَشْرع في قراءة بعض الكتب أو المقالات أو الفيديوهات التي تروِّجُ للإلحاد قد ينْبَهِرُ بما تعرضُهُ نظرًا لافتقاده الحاسَّةَ النقديةَ أو لعدم قدرته على التمحيص والنقد لكلّ ما يُعرضُ أمامَهُ من أطروحات فيكون هذا الأمرُ بابًا للوقوع في الإلحاد؛ بينما لو تريَّثَ الشَّابُ حتى يزدادَ علْمًا ورسوخًا في القراءة والمعرفة لكان قرارُهُ مختلفًا تمامًا كما يقول (د.هيثم طلعت) :"الإلحادُ هو حُكْمٌ سطحيٌّ كسولٌ للغاية على قضيَّةٍ عميقةٍ للغاية ممتلئة بالأدلة".[١٤] ومن هذا الباب أيضًا المقولة المشهورة لـ(فرانسيس بيكون) :"قليلٌ من الفلسفة يؤدي للإلحاد والتَّعَمُّقُ فيها يؤدّي للإيمان".

٤) الانْدفاعُ والعجلة:

وهذا السبب قريبٌ من الذي قبله لكنَّهُ يتعلقُ بالجانب النفسيِّ لا الفكري.

٥) سطوةُ الشهوات ومحاولةُ الهروب من وخز الضمير:

وهذا من أبرز أسباب الإلحاد بين المراهقين حيْثُ يتعارضُ الاستمتاعُ بالشهوة مع الشعور بالذنب ووخز الضمير ويكون على المرْءِ أنْ يختارَ بين طاعة الله والانْخراط في الشهوات فيكون قرارُهُ هو التخلُّصُ من الله والدين وتكاليفه. وهذا هو ما يدنْدِنُ حوْلَهُ كثيرٌ من منظّري الإلحاد في كلامهم عن أنَّ الشَّخْصَ عنْدَما يتَّخِذُ قرارَ الإلحاد يشْعُرُ بحالةٍ من الارْتياح والخلاص من التكاليف الدينية؛ لكن بالطبع هذا الشعورُ المبدئيُّ بالرَّاحة والتَّخفُّفِ من التكاليف الدينية يليه بعد فترة – طالتْ أو قَصُرَت– الشعورُ بالقلق النفسي وفقدان السعادة وعدم القدرة على التَّلَذُّذ بالمتع الدنيوية حتى مرحلة اليأْس والقنوط من مصاعب الحياة الدنيا والرغبة في الانتحار.

---

[١٤] د. هيثم طلعت، موسوعة الرد على الملحدين العرب، المقدمة.

٦) الاضطرابات النفسية:

هناك علاقةٌ بين الإلحاد وعددٍ من الاضطرابات النَّفسية مثل الاكتئاب والوسواس القهري. بلْ إنَّ هناك فئاتٍ معينةً من المرضى نفْسيًا مثل أصْحابِ الشُّذوذ الجنسي يتِمُّ استهدافُهم في الدعاية للإلحاد بزعْم أنَّ الإلحادَ هو المذهبُ الوحيدُ الذي يمنَحُهم حريَّتَهم الجنسية.

٧) نظرية الوالد المشوه "المعيب":

وضع هذه النظرية البروفيسور (بول فيتز Paul Vitz) أستاذ علم النفس بجامعة نيويورك مستخدمًا أدوات المدرسة التحليلية الفرويدية في علم النفس ليخرجَ بنتيجة مخالفةٍ تمامًا لما وصل إليه فرويد ومنتقدًا إياه.[١٥]

ولِفَهْمِ هذه النظرية بدقَّةٍ من المُهِمِّ أنْ نتعرفَ بإيجاز على المدرسة التحليلية في علم النفس التي وضع أسسها (سيجموند فرويد) الذي لفتَ النظرَ إلى وجود ما يُعْرَفُ باسم (العقل الباطن أو اللاوعي أو اللاشعور)، وكيف أنَّ هذا العقلَ الباطنَ يؤثِّرُ في سلوكياتِنا وأفكارِنا وقراراتِنا دون أنْ نشعر.

وينطلق بول فيتز من هذه المدرسة في علم النفس فيقرر أنَّ دوافعَ الإلحاد وموانعَ الإيمان بالله تعالى هي بالأساس نفْسيَّةٌ وليْستْ عقليَّةٌ منطقيَّةٌ وأنَّ هذه الدوافعَ تنْقسِمُ إلى قسمين: سطْحيَّةٍ مثل الانْتماء لفئةٍ اجتماعيةٍ أوْ علميَّةٍ معينةٍ أوْ عدم الرَّغْبَةِ في التقيُّدِ بالتكاليف الدينية أو غيرها وعميقةٍ في العقل الباطن وهي الدوافعُ التحليلية.

---

[15] Paul Vitz, Psychology of Atheism, Antimatters - Issue 6 (Vol. 2 No. 4) December 2, 2008.

يرى فرويد أنَّ أسبابَ الإيمان بالله نفسيَّةٌ لا يمكِنُ الاعتمادُ عليها، وهي تعبيرٌ عن عُقْدَةِ أوديب حيثُ يتخلَّصُ الأبناءُ من أبيهم الذي يغارون منه حتى يظفروا بأمهم، ثُمَّ ينشأُ لديهم الشعورُ بالذَّنب تجاهه ثمَّ يتطوَّرُ هذا الشعور إلى تعظيمٍ وتبجيلٍ ثُمَّ عبادةٍ وتأليهٍ وهكذا ينشأُ الإيمان بالله عند فرويد.

ينتقد فيتز هذا التصوُّرَ من عدةِ وجوهٍ لكنَّ أبرزَها هو أنَّ الأوْقَعَ والأصْوَبَ – على سبيل الإلزام– اعتبارُ الإلحاد تعبيرًا عن عُقْدَةِ أوديب حيْثُ أنَّ إنكارَ الإله هو هزيمةُ هذا الرَّمْزِ الأبويِّ والانْتصار عليه؛ لكنَّ فيتز في الحقيقة لا يرى أنَّ العقدةَ الأوديبيةَ هي الصورةُ الصحيحةُ لتفسير الدوافع التحليلية في العقل الباطن للإلحاد.

تتلخص نظريةُ بول فيتز في أنَّ المرءَ ينْظُرُ إلى الله سبحانه وتعالى على أنَّهُ أبٌ مثاليٌّ، وعندما تتشوَّهُ صورةُ الأبِ الأرضيِّ تختَلُّ بالتَبَعيَّةِ صورةُ الأبِ السماويِّ مما يؤدِّي إلى الوقوع في الإلحاد والجحود وإنكار الله. ومن صوَرِ هذا الأبِ المشوَّهِ أو المعيبِ أنْ يكونَ ضعيفًا أوْ غيرَ محترمٍ أوْ عنيفًا أوْ قاسٍ أوْ غيرَ موجود، ومن الأمثلة التاريخية لهذا الأمر: فرويد – فولتير – ماركس – هتلر – فيورباخ.

ثانيًا: الأسباب الاجتماعية:

وهي التي تنْبُعُ من المجْتَمَعِ المُحِيطِ بالملحد في الأسرة والمدرسة والجامعة والعمل والأصحاب.. إلخ.

١) الجمود الدينيُّ وضعْفُ المناعة المجتمعية:

والمقصودُ بهذا هو انخفاضُ مستوى التَّدين في المجتمع بشكْلٍ لا يوَفِّرُ لأفرادِهِ المناعةَ أوْ الحصانَةَ ضِدَّ الأفكارِ المخالفةِ بما فيها الإلحاد وأطروحاته. وهذا الانخفاضُ في التديُّنِ قد يكونُ على صورتين: انخفاضِ مستوى العلم بالدِّين

والتَّفَقُّهِ فيه بين الناس ؛ وانخفاضِ مستوى الالتزام بالطاعات ومراقبة الله في الأفعال والسلوكيات بين عَوَامِ الناس. في مثل هذا المجتمع الهش دينيًا يسْهُلُ على أفكار الإلحاد أنْ تتسرَّبَ بيسرٍ إلى عقول وقلوب الشباب الذين لمْ ينْشئوا على علْمٍ بالدِّين أوْ استحضار مراقبة الله في سلوكياتهم.

ولا يَعْني هذا الكلامُ أنَّ أبناءَ الأُسَرِ المتديِّنةِ سيكونون محصَّنينَ ضِدّ خطر الإلحاد والانحراف، بل الواقعُ أنَّهُ إذا كانَ المجتمعُ الخارجيُّ في عمومه متحجرًا دينيًّا وغيرَ قادرٍ على مواجهة الأفكار المنحرفة ويسود فيه الجهلُ بالدين وعدمُ الالتزام به عمليًّا وسلوكيًّا فليس هناك حصانةٌ حقيقيةٌ فعليةٌ لأبْناء الأُسَر المتدينة بل همْ عرضةٌ للوقوع في الإلحاد وسائر الانحرافات كغيرهم.

والمقصودُ كذلك بالجمود أوْ التحجر الدينيّ هو عَدَمُ تطوُّرِ أدوات وصياغات الخطاب الشرعيّ لتواكِبَ الأطروحاتِ الثقافيةَ والعلميةَ الجديدةَ والتحدياتِ التي يفرِضُها العصْرُ والأوضاعُ الاجتماعيةُ المستحدثةُ لكثير من الفئات المجتمعية، ولا يُقْصَدُ بهذا التطوُّرِ تبديلُ الدين أو تغييره ليناسبَ الأفكار الدُّخيلة عليه.

٢) كَبْتُ الأسئلة:

بعضُ الأُسَرِ أوْ المجتمعاتِ تمارسُ نوعًا عجيبًا من القهْر على أبنائها فتمنعهم من طرح الأسئلة أو الاستشكال وتهددهم بأنَّ مجرَّدَ طرحِها يعني الكُفْرَ والمروقَ من الدين أوْ قدْ يقابلون أسئلةَ الشاب أو استشكالاته بالسخرية والتَّهَكُّمِ والاستهزاء مما يدْفَعُهُ لكتمانها صيانةً لمروءته وكرامته من الامتهان.

هذه الممارسةُ لكبْتِ أسئلةِ الشَّبَاب تدفعهم للتفكير في أنَّ الإسلامَ نفسَهُ لا يملكُ أجْوبَةً على التساؤلات وأنَّهُ يكْبُتُها ويحرّمُها حتى لا يقعَ الدِّينُ في الإحراج، وبالتالي تتضخَّمُ قوَّةُ هذه الاستشكالات والشبهات في ذهْنِ الشاب إلى درجةِ

تفوقُ حجمَها الحقيقيَّ ويظُنَّ أنَّ الإسلامَ دينٌ ضعيفٌ لا يمْلِكُ أجْوِبَةً ولا حلولًا لأسئلتِهِ حتى تصبحَ في نهاية المطاف السبَبَ في إلحاده وتركه للإسلام بالكلية. وقد يكونُ هذا الكبْت –كعامل نفسي– دافعًا للشاب لكيْ يتمردَ على بيئته ومجتمعه وينضَمُّ للمعسكر الآخر المعاكس لهذا نجِدُ أنَّ كثيرًا من الدعايات المروِّجَةِ للإلحاد ترْتكزُ في خطابها للشباب والمراهقين على أطروحة التمرد على القهر والكبْت المجتمعي وقيود التقاليد وغيرها.

٣) اضطهاد المرأة:

هذا من أبْرزِ وأكبَرِ أسبابِ الإلحاد بين الفتيات خصوصًا أنَّ دعاةَ الإلحاد يستهدفون المرأةَ بدعاياتهم الإلحادية بزعْمِ التحرُّرِ من سلطة الآباء وقهْرِ الذكور وغيرها من الشعارات، فإذا انضمتْ إلى هذه الدعاية ما تلاقيه المرأةُ من اضطهادٍ وظُلْمٍ وقهْرٍ في مجتمعها أو أسرتها كان هذا داعيًا قويًّا للوقوع في فَخِّ الإلحاد.

أنا شخصيًّا تعرَّفتُ إلى قصةِ فتاةٍ مصرية من أسرة ثريَّةٍ جدًّا كان أخوها الأكبرُ ضابطَ شرطةٍ وكان هذا الأخُ الضابطُ يمارِسُ عليها ألوانًا كثيرةً من الضّرب والعنْفِ إذا خالفَتْهُ وكأنَّما هي أحدُ المجرمين الذين يتعاملُ معهم في قسم الشرطة! وفي نفس الوقت كانت هذه الفتاةُ تتواصلُ عن طريق مواقع التواصل الاجتماعيِّ مع عددٍ كبيرٍ من شباب الملحدين الذين أداروا رأْسَها بمعْسول الكلام عن التَحرُّرِ من السُّلْطةِ الأبويَّةِ الذكورية بالإضافة إلى عبارات الغزل والغرام، وأنَّهم على استعدادٍ لتهريبها إلى أحدِ دُوَلِ شمال أوروبا كلاجئةٍ ملحدةٍ هاربةٍ من الاضطهاد الدينيِّ في بلدها، ولا يخْفَى على القارئ الكريم كيف يمْكِنُ أنْ تُصْبَحَ فتاةٌ مثلُ هذه فريسةً سهلةً لأيِّ أحد في بلد غريبة.

وأسوأُ من هذا الأمر أنْ يَتِمَّ تبريرُ هذا الاضطهاد والقهْر للمرأة دينيًّا بحيْثُ تكتشفُ المرأةُ أنَّ الإسلامَ هو سببُ اضطهادِها وظلمها فيكون هذا داعيًا إلى

تَرْكِها له. يحكي الأستاذ (منير أديب) قصةَ طبيبةٍ مصريَّةٍ ملْحَدةٍ كان أوَّلُ ما دفَعَها للإلحاد هو أنَّ زوْجَها السلفيَّ ضرَبَها على وجهها، فلما شكت لوالدها أخبرها أنَّ الله أعْطى لزوْجها هذا الحقَّ وتلا الآياتِ القرآنيةَ في ذلك، تقول الطبيبة: "كنْتُ في غاية العجب من تفْسيرِ كلامِ والدي إنْ صَحَّ، أنْ تكونَ وصيَّةُ الخالق ضرْبَ وإهانةَ المرأة خاصَّةً وأنَّ الإسلامَ يُحَرِّمُ ضرْبَ الحيوان ذاته؛ فهل المرأةُ هنا أقلُّ من الحيوان".[١٦]

٤) تخلُّفُ الأمة:

وهذا قدْ يُعَدُّ من أسباب الإلحاد في المجتمعات المتخلِّفة حضاريًّا خصوصًا إذا تمَ الربْطُ بين هذا التخلف والدين؛ فعندما يقارنُ الشبابُ المُنْبَهِرُ بالغرب بين تقدم الغربيين الكفار وتحضرهم وترقيهم في مدارج العلوم المختلفة وبين تخلُّفِ بني قومه من المسلمين وتأخرهم وانحطاطهم قد تكون هذه المقارنة دافعًا له لفقدان الثِّقة في قُدْرَةِ الإسلام على تحقيق التقدُّم والنهضة، وبالتالي الكفر به بالكلية.

وهذا في الحقيقة ظلْمٌ لدين الإسلام لأنَّهُ ليْسَ سببًا في تخلُّفِ المسلمين كما أنَّ الكفْرَ ليس هو سببُ تقدم الغرب، بل الجهةُ منْفَكَّةٌ هنا بين هذا وذاك فالغربيون تقدَّموا لأنَّهم اجتهدوا وسعوا بينما تأخرْنا نحنُ لأنَّنا تكاسلْنا وعجزنا. فالحقيقة أنَّ التقدمَ والتخلفَ له علاقةٌ بالاجتهاد والسعي والعمل في أمور الدنيا، وليس الإسلامُ سببًا للتخلف ولا الكفرُ سببٌ للتقدم كما يظن هؤلاء.

وفي بعض الأحيان تكونُ الأمَّةُ -أيَّةِ أمة- في محْنةٍ اقتصاديةٍ أوْ اجتماعيةٍ ويتِمُّ طرْحُ حلولٍ لهذه المحْنةِ ويتطلَّعُ أفرادُ الشَّعْب لهذه الحلول على أنَّها الأملُ في إنهاء الأزْمةِ والخروجِ من عُنُقِ الزجاجة، ثُمَّ يقومُ رجالُ الدِّين برفْضِ هذه

---

[١٦] منير اديب، الإلحاد بين أفكار أصحابه وهجرة أتباعه، دار مقام للنشر والتوزيع ص٩٦.

الحلول لأنَّها مخالفةٌ للدِّين أو متضمنةٌ للكفر أوْ غيرُهُ من الأسباب، فيكون هذا الأمرُ من أسبابِ تفَشّي الإلحاد في هذه الأمةِ كما حَدَثَ في أوروبا في عصور النهضة والتنوير.

٥) تمزق الأمة وتفرقها:

وهذا أيضًا من أسبابِ الفتْنَةِ التي تؤدي بالشباب إلى الإلحاد ما بيْن سُنَّةٍ وشيعَةٍ وأباضيَّةٍ ومعتزلة، ثُمَّ بين السلفيين والأشاعرة والصوفية وهكذا، وهذه من أسبابِ الفتْنَةِ بين الشباب غيرِ القادرِ على تمييز الحقِّ من الأباطيل في هذه الأشلاء، فيقعُ في حيرة كيف يرضى اللهُ الحكيمُ الرحيمُ أنْ يكونَ الدِّينُ سببًا في كلِّ هذا التنافر والتناحر بين أبنائه مما يؤدي به في نهاية المطاف إلى الكفر بالله والإلحاد.

ثالثا: الأسباب المعرفية:

وهي المُتَعَلِّقَةُ بالعلم والمعرفة والشبهات، وأفضل من تكلم عنها (د.الطيب بوعزة) الفيلسوف الأكاديميُّ المغربيُّ في مداخلة ببرنامج (حوارات نماء) مع الدكتور عبد الله القرشي وعبد الله العجيري وعبد الله الشهري بتاريخ ١٠ رجب ١٤٣٤ هجرية[١٧]، حيث ذكر أسبابَ الإلحاد النفسية والمعرفية، وعند ذكر الأسباب المعرفية أوجزها في الآتي:

١) ضعْفُ وفقْرُ المكتبة العربية الإسلامية في نقد الإلحاد الجديد، فيجدُ الشبابُ المتشكِّكُ والمتسائلُ نفسَهُ في العراء، وفي المقابل هناك وفْرةٌ في المواد الإلحادية كتابية وفيديوية بشكْلٍ يجْعَلُ المعادلةَ تميلُ بشدَّةٍ لصالح الإلحاد.

---

[١٧] يوتيوب: الأسباب المعرفية للإلحاد بين الشباب العربي.
https://www.youtube.com/watch?v=qWADgmAzE1Y

٢) اعتمادُ العلماء على صياغاتٍ كلاميَّةٍ قديمَةٍ بائدةٍ لا يفْهَمُها عوامُ الشباب بينما الشبهات معروضةٌ بصياغات يسيرة قريبة للفهم.

٣) رفْضُ بعض العلماء التصْنيف في الرّد على الشبهات، فعندما يبحثُ الشبابُ عنْ ردودٍ على الشبهات التي تحاصرُهُ لا يجد، وبالتالي يظنُّ أنَّهُ لا توجدُ ردودٌ ولا إجاباتٌ فيفْقِدُ ثقَتَهُ في قُدْرة الإسلام على مواجهة الإشكالات والتساؤلات مما يؤدّي في نهاية المطاف إلى الوقوع في الإلحاد.

وهذه الأسباب المعرفية للسقوط في الإلحاد تَضُمُّ أيضًا شبهاتٍ كثيرةً أهمهما:

- وجودُ الشر في العالم.
- القتْلُ والحروبُ باسم الدين.
- شبهاتٌ حوْلَ القضاء والقدر.
- شبهاتٌ حول الحكمةِ الإلهيةِ في الخلق.

لكنَّ أهمَّ هذه الأسبابِ المعرفيَّةِ من وجهة نظري هو المتاجرةُ بالعلم لترويج الإلحاد، حيْثُ يَتِمُّ الترويجُ لنظرية التطور مثلًا على أنَّها حقيقةٌ قطعيَّةٌ يقينيةٌ وأنَّها هي العلمُ الذي لا يقْبَلُ الخلافَ، كما يتِمُّ الترويجُ للنظريات الحديثة في نشْأةِ الكوْنِ خصوصًا على يد العالم الفيزيائي الأشهر (ستيفن هوكينج). فإذا تعارَضَتْ هذه النظرياتُ مع الدّين كان هذا دليلًا عند القوْمِ على بطلان الدين وخرافاته. وهذا التحدي الأكبرُ الذي يواجِهُ الإسلامَ الآن هو مواجهةُ هذه النظريات العلمية وتمحيصها وتمييز الحق من الباطل فيها وَفْقَ منهجيَّةٍ شرعيَّةٍ إسلاميَّةٍ عقلية سليمة.

سمات الإلحاد الجديد في الغرب:

١) الدَّعْوةُ النشطةُ المحمومةُ إلى الإلحاد.[١٨]

٢) انتقاله من الإطار الفلسفي النخبويِّ إلى القاعدة الشعبية -أعمالٌ كتابيَّةٌ وفيديوية موجهة للشباب والمراهقين والأطفال-.

٣) الاستخدامُ المكثَّفُ للإعلام والإعلانات وتسريب الأطروحات الإلحادية من خلال الأفلام والمسلسلات والوثائقيات وحتى أفلام الكارتون.

٤) السَّعْيُ المحمومُ نحو ترجمة الأعمال الإلحادية إلى اللغة العربية -كتب، مقالات، محاضرات، وثائقيات-.

٥) نبرةُ الحنق والغضب من الأديان وكثافة السَّبِّ والتطاولِ والعُنْفِ اللفظيِّ حتى يسموه (الإلحادَ الحربيَّ Militant Atheism)، ويظْهَرُ هذا بارزًا في عناوين الكتب (وهْمُ الإله، نهايَةُ الإيمان، اللهُ ليْسَ عظيما، الدينُ أصْلُ كلِّ الشرور، كيْفَ يُسَمِّمُ الدِّينُ كلَّ شيء).[١٩]

٦) استخدامُ السخرية لهزِّ قداسةِ الدين -في الحوارات والمناظرات والوثائقيات والبرامج الفضائية-، وزيادةِ جُرْعَةِ السخريةِ من الأديان في الأعمال الفنية.[٢٠]

٧) الاسْتِعْمالُ الكثيفُ لأطروحَةِ مكافحةِ الإرهابِ ضِدَّ الدين.[٢١]

٨) استغلالُ العلومِ التجريبيَّةِ والكُشُوفِ الحديثةِ لتأْييدِ الإلحاد وترويجِهِ لأيَّةِ مناسبةٍ -المتاجرة بالعلم- خصوصًا أطروحات نظرية التطور.[٢٢]

---

(١٨) عبد الله بن صالح العجيري، ميليشيا الإلحاد، مركز تكوين للدراسات والأبحاث ص٢١.

(١٩) المصدر السابق ص٤٣.

(٢٠) المصدر السابق ٦٩.

(٢١) المصدر السابق ٦٣.

(٢٢) المصدر السابق ٨٣.

سمات عقلية الملحد:

هناك سماتٌ عقليةٌ وذهنيةٌ يخْتَلِفُ بها الملْحِدُ عنْ المؤمن، هذه السمات هي أصْلُ النزاع بين الفريقين، وهي السببُ الرئيسيُّ في عدَمِ فهْمِ المُلْحِدِ للأدلَّةِ على وجود الله، والسبَبُ كذلك في نِشُوءِ إشكالاتٍ عقليَّةٍ لديه مثل مسألة الشر. لهذا فإنَّ تفْكيكَ هذه العقليةِ والسَّعْيَ لفَهْمِ مواطن الإشْكالِ فيها هو أوَّلُ السبيل لمخاطبتها وإقْناعها بالحقّ وتبْيِينِ أُسُسِ ومحاورِ العقليَّةِ الإيمانيَّةِ وسلامتها واتّساقها الداخليَ وانْسِجامِها مع سائر القواعد المعرفية الكلية.

١) الثقةُ المفرطةُ في الفكرة والرؤية الإلحادية:

كما شرَحْنا في السابقِ أنَّ الظاهرةَ الإلحاديةَ تَضُمُّ ألوانَ طيْفٍ متعددَةٍ –ملحد، لاأدري، ربوبي–؛ لكنَّ الغالبَ على ظاهرة الإلحاد الجديد هو أنَّ اللوْنَ الإلحاديَّ المنكرَ لوجود الصانع بالكلية هو السائدُ بخلاف إلحادِ عصْرِ التنْويرِ الذي كان يمِيلُ في البداية إلى الربوبية ثُمَّ إلى اللاأدرية والشكوكية، أمّا الإلحادُ الجديدُ فيَتَمَيَّزُ ببروزِ جانبِ الإلحاد المنكرِ لوجود الله وليس الربوبيّ أوْ اللاأدريّ بلْ والتعصبُ لهذه الرؤية حتى أنَّ أبْرَزَ الانتقاداتِ له في الغرْبِ هو الإغراقُ في التَّعَصُّبِ وإنْكارِ أيّةِ فضيلةٍ للمخالف مثله كمثل التعصب الديني في أسوأ صوره.[٢٣]

---

[٢٣] انظر مثلا نقد أليستر وجوانا ماكجراث لكتاب ريتشارد دوكينز (وهم الإله) في كتابهما (وهم دوكينز ، الأصولية الإلحادية وإنكار الإله).

٢) حصر المعرفة في الحسّ والتجربة والمادة:

والإنكارُ التام للغيبيات واختزال الموجودات في المادة المحسوسة فيما يُعْرفُ بـ(الفلسفة المادية الاختزالية Reductionism) حيْثُ يرى القوْمُ -مثلًا- أنَّ الوعْيَ والإرادةَ الحرّةَ والميولَ النفسيةَ والروحيَّةَ في الإنسان يمكن ردّها إلى تفاعلاتٍ كيميائيةٍ وإشاراتٍ عصبيةٍ تدورُ في الجهاز العصبي، ويتبنُّونَ أطروحاتِ مدْرَسَةِ الحتميَّةِ البيولوجية في علم الأحياء ومدرسة الحتمية السلوكية في علم النفس.

٣) المحكم والمتشابه الكوني:

وهذه من أبْرَزِ سماتِ العقليَّةِ الإلحادية، ففي الكوْن وفي خلْق الإنسان وسائرِ الكائنات آياتٌ محْكَماتٌ تَدُلُّ على الإحكام والدِّقَةِ وبراعَةِ الصَّنْعَةِ تشيرُ بوضوحٍ إلى علْمِ الله وحكمته وخبرته وعنايته، وفيه كذلك آياتٌ متشابهاتٌ قد تُحارُ العقولُ في اسْتنْباط الحكمة الإلهيَّةِ من وجودها. فالعقليَّةُ الإيمانيَّةُ تَرُدُّ هذه المتشابهاتِ إلى المُحْكَمِ الثابتِ من علْمِ الله وحكمتِهِ الواسعةِ في خلقه؛ بينما العقليةُ الإلحاديةُ ترد المحكماتِ إلى المتشابهات التي توهِمُ الفوضى والعشوائيةَ أوْ وجودِ العيوبِ والخَلَلِ في الكائنات.[٢٤] لهذا فإنَّ القواعدَ العقليَّةَ الكليَّةَ مثل: إرجاع المتشابهات إلى المحكمات، ومحاكمة الظّنّيات للقطعيات، وتقْديم الجمْع بين الأدلة على التّرْجيح بينها بقدر الإمكان، وتقديم الدَّليلِ الأقْوَى على الدَّلِيلِ الأضْعَفِ عند التعارض، هي أصولٌ ومحاورُ عقليَّة المؤمن بخلاف الملحد وهي التي يعتمدُ عليها الحوارُ بين الطرفين.

Alister E. McGrath and Joanna Collicutt McGrath, The Dawkins Delusion? Atheist Fundamentalism and the Denial of the Divine, InterVarsity Press 2007

[٢٤] يوتيوب: مكمن الخطأ في طريقة نظر الملحد للظواهر الكونية – الأستاذ عبد الله الشهري.
https://www.youtube.com/watch?v=QO_kA1HlfVA

الفصل الثاني

الأدلة على وجود الله

الأدلة على وجود الله

الحقيقةُ أنَّ آحادَ الأدلَّةِ على وجود الله لا حصْرَ لها ولا يُمْكِنُ إحصاؤها إنَّما يمْكِنُ تقسيمُها نوعيًّا إلى ثلاثة عناصر: الفطرةُ ودلالتها، والأدلَّةُ العقليَّةُ أو النظريَّةُ، والمرجحاتُ الخارجيةُ للإيمان على الإلحاد.

فالعنصر الأول هو الفطرةُ ودلالتُها الأنطولوجيَّةُ الوجوديةُ من جِهَةٍ ودلالَتُها المعرفيَّةُ من جهةٍ أخرى، ثُمَّ إنَّ هناك أدِلَّةً وبراهينَ مستمدةً من الفطرة أبرزُها برهانُ الكَمَالِ الأنطولوجي والبرهانُ الأخلاقيُّ العمليُّ وبرهانُ الافتقار الاضطراري.

أما العنصرُ الثاني فهو الأدلةُ العقليةُ المبنيةُ على النظرِ العقليِّ وهي تعْتَمِدُ بصفَةٍ عامَّةٍ على دلالةِ المخْلوقات على الخالق أيْ أنَّها تمْزُجُ الحسَّ والمشاهدةَ بالنَّظَرِ العقلي، وتنقسمُ إلى قسمين: دلالةُ الخلْقِ والاختراع، ودَلالَةُ العِلَّةِ الغائية.

ثم العنصرُ الثالثُ وهو المرجحاتُ الخارجيةُ للإيمان على الإلحاد وهذه ليستْ أدِلَّةً على وجود الله في حقيقة الأمْرِ لكنَّها أمورٌ تُظْهِرُ أفْضَلِيَّةَ الإيمان على الإلحاد مثل: رهان باسكال، والصحة النفسية، والسلامة المجتمعية.

دلالةُ الفطرةِ على وجود الله:

أهمُّ دليلٍ على الإطْلاقِ في إثبات وجودِ الله تعالى هو دليلُ الفطرةِ وهو الأهَمُّ وهو الأساسُ وخلاصتُهُ أنَّ الإنسـانَ بفطرتِهِ المحْضَةِ يشْعُرُ أنَّهُ مخلوقٌ مفْتَقِرٌ وأنَّ لهُ خالقًا عظيمًا يحوزُ صفاتِ الجلال والكمال، وقد تكلَّمَ العلماءُ الربَّانيُّون في هذه القضية وأنَّها لا تحْتاجُ إلى برهانٍ لأنَّها واقعةٌ في النَّفْس الإنسانيَّةِ بوضوحٍ وجلاء، بل إنَّ علماءَ النفْس والاجْتماع يُقِرُّونَ بهذه الحقيقة الفطرية المغروسة وللملاحدة منهم جهودٌ كبيرةٌ جدًّا في محاولةِ البحْثِ عن سَبَبٍ ماديٍّ لهذه الحقيقة، من

فرويد لكونت لدوركايم لبرجسون حتى (دين هامر) عالِمِ الجينات الذي زعَمَ وجودَ جينٍ في الشريط الوراثيِّ مسئولٍ عن هذه الحقيقة الفطرية.

يُعْتبرُ دليلُ الفطْرةِ هو أبْرَزُ الأدلَّةِ التي يسوقُها العلماءُ للدلالة على وجود الله تعالى، ويسْتَنِدُ هذا الدليلُ على أنَّ الإيمانَ بوجود الله تعالى حقيقةٌ مركوزةٌ ومغروسةٌ في الفطرة البشريَّةِ ليْسَتْ بحاجةٍ إلى البرْهَنَةِ والدلالَةِ عليها نظرًا لوضوحها وجلائها عند كلِّ إنسانٍ حتى قال عنها الفيلسوفُ الفرنسيُّ ديكارت: "لا يبْقى ما يُقالُ بعْدَ ذلك إلَّا أنَّ هذه الفكرةَ وُلِدَتْ ووجدتْ معي منذ خلقت كما ولدتْ الفكرةُ التي لديَّ عن نفسي، والحق أنَّهُ لا ينْبغي أنْ نعْجَبَ من أنَّ اللهَ حين خلقني غرَسَ فيَّ هذه الفكرةَ لكيْ تكونَ علامةً للصانعِ مطبوعةً على صنعته".[1] بل إنَّ الفيلسوفَ الاسْكُتْلنديَّ الشكَّاكَ (ديفيد هيوم) يعْتَرِفُ بهذه الفطرةِ في كتابه (الحوارات): "ليس هنالك من هو أشدُّ منّي إحساسًا بالدِّين المُنْطَبِعِ في نفسِي أوْ أشدُّ تعلقًا بالموجود الإلهيِّ كما ينْكَشِفُ للعقلِ بيْنَ ابْتداع الطبيعةِ وصناعتها الذيْن من الصعب تفسيرُهما"،[2] وكما يقولُ في موْضعٍ آخرٍ من نفس الكتاب: "إنَّهُ لا تُوجَدُ حقيقةٌ أظْهَرُ وأوْضَحُ من وجود إله".[3]

لكنَّنا عنْدما نُحاوِلُ بيانَ هذا الدَّليلَ للملحدِ ينْبغي أنْ نضعَ في الاعْتبار أنَّ المُخالِفَ قدْ لا يُقِرُّ بهذه الفطرةِ وقدْ لا يعْترِفُ بوجودِ هذه الحقيقة العلمية الفطرية إمّا عنادًا ومكابرةً أوْ اتباعًا للهوى أوْ لوجود خَلَلٍ أوْ فسادٍ أصابَ فطرتَهُ فصار غيرَ قادرٍ على إدراكِ الحقائقِ الفطرية والانصياع لها، لهذا نحنُ بحاجةٍ إلى

---

(1) ديكارت، "التأملات"، ترجمة د. عثمان أمين ص١٥٥.

(2) ديفيد هيوم، "محاورات في الدين الطبيعي"، ترجمة د. محمد فتحي الشنيطي ص١٤٠-١٤١.

(3) المصدر السابق ص١١.

بيانِ دلالاتٍ أُخرى من الفطرة تَدُلُّ على وجود الله، وسوف نتناول هذه الدلالاتِ في ثلاثة محاور: المبادئ العقلية، الغرائز، القيم الأخلاقية.

ـ المبادئ العقلية:

المبادئُ العقليَّةُ أوْ المبادئُ الأوليَّةُ أوْ الأولياتُ أوْ البديهيات العقليَّةُ هي المقدماتُ الضروريةُ للاسْتِدْلال العقلي وهي أساسُ كلِّ استدلالٍ عقليٍّ وهي تعودُ إلى أرْبَعَةِ مبادئَ هي: مبدأُ الهويَّة ومبدأُ عدَمِ التناقض، ومبدأُ الثالث المرفوع، ومبدأُ السببية،[٤] والبعضُ يجعلُها أكثرَ من ذلك،[٥] وهناك من يجْعلُها في مبدأيْن فقط: مبدأ عدم التناقض، ومبدأ السبب الكافي.[٦]

وهذه المبادئُ تتَّسِمُ بأنَّها فطْريةٌ غيْرُ مكتسبة أيْ لا يتعلَّمُها الإنسانُ بعْدَ ولادَتِهِ بل يولَدُ بها، فالإنسانُ عندما يولدُ يكونُ لديْهِ أُسُسٌ وبديهياتٌ للتفكيرِ السَّلِيمِ يَصِلُ بها لاستيعابِ الحقائق وتمَكُّنِهِ من الوصول إليها، يقول العلامة ابنُ حزم: "والإدْراكُ السادسُ علْمُها بالبديهيات.

فمن ذلك علمُها بأنَّ الجزءَ أقلُّ من الكُلِّ فإنَّ الصَّبيَّ الصغيرَ في أوَّلِ تمييزِهِ إذا أعْطَيْتَهُ تمْرَتَيْن بكى وإذا زِدْتَهُ ثالثةً سُرَّ وهذا علْمٌ منه بأنَّ الكُلَّ أكثرُ من الجزء وإنْ كان لا ينْتَبِهُ لتحديد ما يعْرفُ من ذلك ومن ذلك علمُهُ بأنَّهُ لا يجْتَمِعُ المتضادان فإنَّكَ إذا وقفْتَهُ قسْرًا بَكَى ونَزَعَ إلى القُعودِ علْمًا منْهُ بأنَّهُ لا يكون قائمًا قاعدًا معا.

---

[٤] يوسف كرم، "العقل والوجود"، ص١٤٢.

[٥] عبد الرحمن بدوي، "موسوعة الفلسفة"، ج٢ ص٢٤٠.

[٦] عبد الله القرني، "المعرفة في الإسلام"، ص٢٩٧-٢٩٨.

ومِنْ ذلك علْمُهُ بأنَّهُ لا يكونُ جِسْمٌ واحدٌ في مكانَيْنِ فإنَّهُ إذا أرادَ الذَّهابَ إلى مكانٍ ما فامْسكْتَهُ قسْرًا بكى وقال كلامًا معناهُ "دعْنِي اذْهَبْ" علمًا مِنْهُ بأنَّهُ لا يكونُ في المكان الذي يريد أنْ يذهبَ إليه ما دامَ في مكان واحد.

ومن ذلك علمُهُ بأنَّهُ لا يكون الجسمان في مكانٍ واحدٍ فإنَّكَ تراهُ ينازعُ على المكان الذي يريدُ أنْ يقْعُدَ فيه علمًا منْهُ بأنَّهُ لا يسَعْهُ ذلك المكانُ مع ما فيه فيدفع مَنْ في ذلك المكان الذي يريدُ أنْ يقعدَ فيه إذ يعلم أنَّهُ مادامَ في المكانِ ما يشْغَلُهُ فإنَّهُ لا يسعْهُ وهو فيه.

وإذا قلتَ لهُ: ناولْني ما في هذا الحائطِ وكان لا يُدْرِكُهُ قال: لسْتُ أدْرِكُهُ وهذا علْمٌ منهُ بأنَّ الطويلَ زائدٌ على مقدار ما هو أقْصَرُ منه وتراهُ يمْشي إلى الشيء الذي يريدُ أنْ يصل إليه وهذا علْمٌ مِنهُ بأنَّ هذه النهايةَ تُحْصرُ وتُقْطَعُ بالعدْوِ وإنْ لمْ يحسِنْ العبارةَ بتحْدِيدِ ما يدْري من ذلك.

ومنها علْمُهُ بأنَّهُ لا يعْلَمُ الغيْبَ احدٌ وذلك أنَّهُ إذا سألْتَهُ عن شيءٍ لا يعْرِفُهُ انْكَرَ ذلك وقالَ لا أدْري.

ومنها فرْقَةٌ بين الحَقِّ والباطِلِ فإنَّهُ إذا أُخْبِرَ بخبَرٍ تجدْهُ في بعضِ الأوقات لا يُصَدِّقُهُ حتى إذا تظاهرَ عنده بمخبر آخرٍ وآخرٍ صدَّقَهُ وسَكَنَ إلى ذلك.

ومنها علْمُهُ بأنَّهُ لا يكون شيءٌ إلَّا في زمانٍ فإنَّك إذا ذكرْتَ لهُ أمرًا ما قال: متى كان، وإذا قلتَ له: لمَ تفعلُ كذا وكذا قال ما كُنْتُ أفعَلُهُ، وهذا علم منه بأنَّهُ لا يكونُ شيءٌ ممَّا في العالم إلَّا في زمان.

ويعرفُ أنَّ للأشياء طبائعَ وماهيَّةً تقفُ عندها ولا تتجاوزُها فتراهُ إذا رأى شيئًا لا يعرفُهُ قال: ايُّ شيءٍ هذا فإذا شُرِحَ له سَكَت.

ومنها علمُهُ بأنَّهُ لا يكونُ فعْلٌ إلَّا لفاعلٍ فإنَّهُ إذا رأى شيئًا قال: من عَمَلَ هذا ولا يَقْنَعُ البتةَ بأنَّهُ انعَمَل دونَ عاملٍ وإذا رأى بِيَدِ آخَرٍ شيئًا قال: مَنْ أعطاكَ هذا.

ومنها معْرِفَتُهُ بأنَّهُ في الخَبَرِ صِدْقًا وكذْبًا فتراهُ يُكَذِّبُ بعضَ ما يُخبَرُ به ويُصَدِّقُ بعضَهُ ويتوقَّفُ في بعضِهِ هذا كلُّهُ مشاهدٌ من جميع الناس في مبدأ نشأتهم.

قال (أبو محمد): فهذه أوائلُ العقْلِ التي لا يختلفُ فيها ذو عقْلٍ وههنا أيضًا أشياءٌ غيرُ ما ذكرْنا إذا فُتِّشتْ وُجِدَتْ وميَّزَها كلُّ ذي عقلٍ من نفْسِهِ ومنْ غيْرِهِ وليْسَ يدْري أحدٌ كيْفَ وقَعَ العلْمُ بهذه الأشياء كلِّها بوجْهٍ من الوجوه ولا يَشُكُّ ذو تميزٍ صحيحٍ في أنَّ هذه الأشياءَ كلَّها صحيحةٌ لا امْتراءَ فيها وإنَّما يشُكُّ فيها بعْدَ صِحَّةِ علمِهِ بها من دخلتْ عقلَهُ آفةٌ وفَسَدَ تمييزُهُ أوْ مال إلى بعْضِ الآراءِ الفاسدةِ فكان ذلك أيضًا آفةٌ دخلتْ على تمييزه".[٧]

ثم قال: "فهذه المقدماتُ التي ذكرناها هي الصحيحةُ التي لاشكَّ فيها ولا سبيلَ إلى أنْ يَطْلُبَ عليها دليلًا إلا مجنونٌ أوْ جاهلٌ لا يعْلَمُ حقائقَ الأشياء ومن الطفل أهدى منه.

وهذا أمرٌ يستوي في الإقرارِ بِهِ كبارُ جميعِ بني آدم وصغارُهم في أقطار الأرض إلَّا من غالطَ حسَّهُ وكابرَ عقْلَهُ فيلحقُ بالمجانين لأنَّ الاستدلالَ على الشيءِ لا يكونُ إلَّا في زمانٍ ولابُدَّ ضرورةً يعلم ذلك بأوَّلِ العقْلِ لأنَّهُ قد علِمَ بضرورةِ العقْلِ أنَّهُ لا يكونُ شيءٌ ممّا في العالم إلَّا في وقْتٍ، وليس بين أوَّلِ أوقاتِ تمْييزِ النَّفسِ في هذا العالم وبيْنَ إدْراكِها لكُلِّ ما ذكرْنا مهلةٌ البتَّةَ لا دقيقةٌ

[٧] ابن حزم، "الفصل بين الملل و الأهواء و النحل"، ج١ ص١٦-١٧.

ولا جليلةٌ ولا سبيلٌ على ذلك فَصَحَّ أنَّها ضروراتٌ أوقَعها اللهُ في النفس ولا سبيلَ إلى الاستدلال البتةَ إلَّا من هذه المقدمات ولا يَصِحُّ شيءٌ إلَّا بالرَّدِ إليها فما شهِدَتْ لهُ مقدمةٌ من هذه المقدمات بالصِّحَةِ فهو صحيحٌ متيَقنٌ وما لَمْ تشهدْ لَهُ بالصحةِ فهو باطلٌ ساقطٌ".[8]

كذلك ترى (د.أليسون جوبنيك Alison Gopnik) أستاذة الطب النفسي للأطفال أنَّ الطفلَ في استكْشافه للعالَمِ من حوْلِهِ وسعْيِهِ لاكْتِساب اللغةِ والمعارِفِ يتصرَّفُ تمامًا كالعالم في مختبره، فهو يضعُ الفرضيات ويختبرُها ويستبعدُ النتائجَ غيْرَ المفيدةِ أوْ المتناقضةِ أوْ المغرقة في التعقيد،[9] وفي هذا دليلٌ على أنَّ الطِّفْلَ لديه بِنْيَةٌ عقليةٌ داخليةٌIntrinsic Structure قادرةٌ على تحْليلِ معطياتِ البيئةِ المحيطةِ واسْتنباط المعلومات منها، وأنَّ لديْهِ قواعدَ أوليةً للفكرِ والنَّظَرِ واستيعابِ البياناتِ والمعلومات لمْ يكْتسبْها بعْدَ الولادةِ بلْ هي مغروسةٌ فيه منْذُ البداية، ويتِمُّ تشغيلُها وتفعيلُها بعْدَ ولادتِهِ واحتكاكِهِ بالعالمِ الخارجيِّ، وهذا عيْنُ ما نقْصِدُهُ بأوَّلياتِ العقل أوْ المبادئِ الأوليةِ أوْ المبادئ الضرورية.

ويلفتُ نظرَنَا شيخُ الإسلام (ابن تيمية) إلى نقْطَةٍ مهمةٍ بقوله: "الإنسانُ حادثٌ كائنٌ بعْدَ أنْ لمْ يكن، والعلْمُ الحاصلُ في قلْبِهِ حادثٌ فلو لمْ يَحْصُلْ في قلْبِهِ علْمٌ إلَّا بعْدَ علْمِ قلْبِهِ لزِمَ أنْ لا يحصُلَ في قلْبِهِ علْمُ ابتداء، فلا بُدَّ من علومٍ بديهيةٍ يبتدؤها اللهُ في قلبه، وغايةُ البرهان أنْ ينتهي إليها".[10] ومقصده رحمه الله

---

[8] المصدر السابق ص١٧.

[9] Gopnik, A., A. N. Meltzo, and P. K. Kuhl, "The Scientist in the Crib: Minds ,Brains, and How Children Learn", New York: William Morrow and Company, 1999.

[10] بن تيمية، "درء تعارض العقل والنقل"، ج٣ ص٣٠٨.

انَّ العلومَ التي يكْتَسِبُها المرءُ لابُدَّ لها مِنْ أُسُسٍ ومبادئَ تنْبَني عليْها وإلّا لنْ يكْتِسِبَها الإنسانُ، وطالما أنَّهُ قادرٌ على اكتساب المعلومات فهو لديه بالفعل هذه الأُسُس والمبادئ.

والحقيقةُ أنَّ وجودَ هذه المبادئِ العقلية يدْفَعُنا للسؤال عن مُوجِدِها، فمن المؤكدِ أنَّ الإنسانَ لمْ يوجدْها لأنَّها موجودةٌ في بنْيَتِهِ العقليَّةِ من قَبْلِ ولادته، وكذلك فإنَّ الوجودَ الماديَّ الطبيعيَّ لا يمْكِنُهُ إيجادُها فهذا دليلٌ على أنَّها من إيجادِ العليمِ الخبيرِ فيكونُ وجودُ المبادئِ العقليةِ دليلًا على وجود الله وخالقِيَّتِهِ وعلْمِهِ وحكْمته.

- الغرائز:

يمْكِنُ تعريفُ الغريزةِ بأنَّها هي الميْلُ الفِطْرِيُّ الذي يدْفعُ الكائنَ الحيَّ إلى العملِ في اتجاهٍ معيَّنٍ تحْتَ ضغْطِ حاجاتِهِ الحيوية، والأمثلة عليها كثيرةٌ جدًّا تفوقُ الحصْرَ في الحشرات والطيور والحيوانات المختلفة مثل بناءِ العُشّ أوْ الخلية عند الزنابير والنحل والنمل، وسبل التمويهِ والتَّخفّي من الأعداء عند دودةِ القزّ مثلا، وهجراتُ الفراشات والجراد والطيور والأسماك والزواحف والثدييات من أوطانها في مساراتٍ ثابتةٍ محددةٍ ثم العودة، وفي الإنسان هناك غرائزُ الجوع والعطشِ والجنسِ وحبُّ البقاءِ والأبوةِ والأمومةِ وغيرها، حتى قال أحدُهُم: إنَّ الإنسانَ لو لمْ يرَ الماءَ قطّ لبحثَ عنه لأنَّ غريزةَ العَطَشِ داخلَهُ تهْفو إلى الماء وتهدي إليه. وتُعْتَبَرُ الغرائزُ من المسائل المستعصية على الطبيعيين Naturalists أتباع الفلسفة الإلحادية وأنصار نظرية التطوُّرِ لأنَّ عددًا منها موجودٌ في كائناتٍ ذاتِ جهازٍ عصبيٍّ محدودٍ ليس لديْهِ القدرةُ على بناءِ خططٍ وتكتيكاتٍ معقدةٍ للتمويهِ وخداعِ الأعداء،[11] كذلك عددٌ من هذه الغرائز غيرُ قابلٍ للانتقال وراثيًّا

[11] Hoimar Von Dithfurth, "Dinozorların Sessiz Gecesi", 1, pp. 12-19.

لكونِهِ في أفرادٍ عقيمين مثل شغّالات النحْل أوْ النمل،[١٢] لهذا فإنَّ وجودَ الغرائز في الكائنات المختلفة تَدُلُّ على أنَّ هناك من غرَسَها فيها وفيها دلالَةٌ بارزةٌ على وجود الله وخالقيَّتِهِ وعلمِه وحكمته.

ـ القيم الأخلاقية:

من الأمورِ الملحوظةِ في البشَرِ هي اتفاقُهُمْ في القيم الأخلاقية العامَّةِ مثل حُسْنِ العدْل والصدْق والأمانَةِ وقُبْح الظلم والكذب والغش. وهذا على المستوى العام المطلق أمّا عند تنزيلِ هذه القيم المطلقة على الواقع فقدْ يخْتلفُ النّاسُ في التطبيق؛ لكنَّكَ لا تَجِدُ واحدًا يزْعُمُ أنَّ الكذِبَ خيْرٌ من الصدْقِ أوْ أنَّ الظُّلْمَ خيْرٌ من العدل، فنحن نعْرِفُ بالفطرة أنَّ العدلَ حَسَنٌ والظلْمَ قبيحٌ وأنَّ الصدْقَ حسنٌ والكذبَ قبيح. فإنَّ الإنسانَ إذا عُرِضَ عليه أنْ يعتقِدَ الحقَّ ويصدق وعُرض عليه أنْ يعتقدَ الباطِلَ ويكذب مالَ بفطْرَتِهِ إلى الأوَّلِ ونَفَرَ من الثاني، فعُلم أنَّ في فطرةِ الإنسانِ ما يدْفَعُهُ لاعتقادِ الحَقِّ وإرادةِ الخيْرِ والنفور من الباطل ما لمْ يمْنَعْهُ مانع. ووجودُ هذه الفطرة الأخلاقية دليلٌ على وجود الخالق وبرهانٌ عليه، فالفطرةُ الأخلاقيَّةُ هي المعيارُ الذاتيُّ الذي نحْكُمُ به، وفلاسفَةُ الأخلاقِ يسمونَها الحاسَّةَ الخلقيَّةَ أوْ الضمير، ويخْتلِفُ هؤلاءُ الفلاسفةُ في كوْنِ هذه الحاسَّةِ محلُّها العاطفةُ امْ العقل؛ لكنَّ ما يغنينا هنا هو أنَّ وجودَ هذه الفطرة يقْتضي وجودَ خالقها وأنَّ في وجودها دلالةً على وجود الله الخالق البارئ. وهذا هو ما يُعْرَفُ باسْم (الدَّليلِ الأخلاقيِّ الوجوديِّ Ontological Moral Argument) على وجود الله الذي ينْطلقُ من إثبات وجود القيم الأخلاقية الموضوعية في الفطرة إلى دلالتها على وجود خالقها وفاطرها في الإنسان، وهو يختلف عن الدليل الأخلاقي العمليِّ الذي ينطلقُ من الضرورة العملية للأخلاق والذي وضعَهُ الفيلسوف الألماني (إيمانويل كانت) وسوف نتناوله بالتفصيل فيما بعد.

---

(12) Gordon Rattray Taylor, "The Great Evolution Mystery", London: Martin Secker & Warburg Ltd, 1983, p. 222.

- **خلاصة ما سبق:**

يظْهَرُ مما سبقَ أنَّ وجودَ أولياتِ العقْلِ والغرائز والقيم الأخلاقية عبارةٌ عن وجود أوّليٍّ فطْريٍّ غيرِ مكتسب، وأنَّ هذا الوجودَ يستلزمُ الدلالَةَ على وجود من غَرَسَ هذه السماتِ وأودَعَها في الإنسان، وأنَّ فيها دلالَةً على وجود الله وخالقيَّتِهِ وعلمِهِ وحكمتِه. وفي هذا الاستدلال تدْعِيمٌ لدلالةِ الفطرة على وجود الله من جهَةِ وجودها الأنطولوجي -أيْ أنَّ وجودَ الفطرة برهانٌ وآيةٌ على وجود خالقها- فضلًا عن دلالتِها المعرفية -أيْ أنَّ الفطرةَ كقوةٍ داخليةٍ تخبرُني بأنِّي مخلوقٌ وأنَّ لي خالقًا- من جهةِ فطريَّةِ الإيمانِ بالخالق والتوجُّهِ إليه وكونِها دليلًا على وجوده ولزوم عبادته تبارك وتعالى.

- **ما الذي لدى الملاحدة ليقدموه في مسألة الفطرة؟**

لا يُنكِرُ معظمُ علماء الملاحدة -إنْ لمْ يكنْ كلُّهم- وجودَ فطرةِ الإيمان بالله داخل الإنسان نظرًا لتضافُرِ الأدلَّةِ قديمًا وحديثًا على هذه الحقيقة، ففي بحثٍ كبيرٍ تحْتَ إشْراف جامعة أوكسفورد عمَلَ فيه ٥٧ باحثًا في ٢٠ دولةً على مدار ٣ سنواتٍ وتكلف ١.٩ مليون جنيه استرلينيٍّ وتَمَّ نشرُ نتائجِهِ عام ٢٠١١م، ثبت أنَّ الأطفالَ الصّغارَ يولدون ولديهم فطرةُ الإيمان بوجود الله والحياة بعد الموت.[١٣]

فقضيَّةُ وجود الفطْرةِ في حدِّ ذاتِها لا يُنْكِرُها الملاحدةُ ولا يستطيعون إنكارَها بعد حسْمِها من علمائهم وكبرائهم أنفسهم؛ لكنَّهم يسعونَ لإيجاد تفسيرٍ ماديٍّ لها

---

[13] Humans 'predisposed' to believe in gods and the afterlife.
http://phys.org/news/2011-05-humans-predisposed-gods-afterlife.html
http://www.sciencedaily.com/releases/2011/07/110714103828.htm

يتفِقُ مع إنكار وجود الله، فعلى سبيل المثال عالِمُ الجينات (دين هامر Dean Hamer) أصدر كتابًا عام ٢٠٠٥م يعْلِنُ فيه عن اكتشافه لما أطْلَقَ عليه اسم (جين الألوهية God Gene)، وأنَّهُ المسئولُ عن المشاعر والمكاشفات الروحية التي يعايِنُها الناسُ وهو جينٌ محددٌ اسمه (VMAT2) يعمل على إنتاج إنزيمٍ معيَّنٍ يعْمَلُ على تنظيم مستويات (السيروتونين والدوبامين والنورابينفرين) في الدِّماغ التي تلْعَبُ بدوْرِها دورًا كبيرًا في توليد المشاعر والمعتقدات الغيبية؛[١٤] لكنَّ هناك انتقاداتٍ علميةٍ كبيرةٍ لما ذهبَ إليه هامر وأبرزُها أنَّهُ اعتمدَ على دراسة واحدةٍ غيرِ منشورةٍ في المجلات المحكمةِ وغيْرِ متكررة.[١٥] كذلك من أهَمِّ الانتقادات لهامر سلوكُهُ هذا المَنْحَى الماديَّ الاختزاليَّ الذي يعْزو قضيةَ الإيمانِ والمشاعر الروحية إلى بعض الكيماويات والناقلات العصبية في المخ، أوْ كما قال البروفيسور الأمريكي الملحد (بول مايرز Paul Myers) أستاذ البيولوجيا بجامعة (مينيسوتا): "تخيل أنَّكَ توَدُّ كتابةَ تقريرٍ على جهاز الكمبيوتر باستخدام برنامج مايكروسوفت وجاءَكَ فنيُّ الكمبيوتر المتخصصُ وقال لك: إنَّ هذا السلكَ الأصفرَ المتصلَ بالجهاز هو المسئولُ عن كتابةِ التقرير، هل ستصدقه؟ هل سيساعدُكَ كلامُه في حلِّ مشاكلك الفنيَّةِ؟ هل سينفعُكَ كلامُهُ في العمل على برنامج مايكروسوفت الكتابي؟ هل ستصدقه حتى لو خلعَ السلْكَ وتوقَّفَ البرنامج عن العمل في نفس اللحظة؟ هذا هو نفس شعوري —والكلام على لسان مايرز— تجاهَ علْمِ النفس التطوري.[١٦] يضافُ إلى هذا حقيقة أنَّ هذا المسْلَكَ في تفسير

---

[14] Dean Hamer, "The God Gene: How Faith Is Hardwired Into Our Genes", Anchor Books, 2005.
[15] Carl Zimmer, "Faith-Boosting Genes: A search for the genetic basis of spirituality", Scientific American, October 2004.
[16] PZ Myers, "No god, and no 'god gene', either", Pharyngula 13-02-2005

الإيمان والكفر ينافي حريةَ الإنسان وقدرتَهَ على اختيار الإيمان أوْ الكفر، فإنَّهُ لو كان الأمرُ يعْتَمِدُ على جينٍ ما في الشريط الوراثي، فالإنسان إذنْ مجبورٌ لا يستطيعُ في حقيقةِ الأمْرِ أنْ يختارَ الكفرَ أو الإيمانَ وهذا مناقضٌ للحسِّ والعقلِ فالإنسان يعْلَمُ علمًا ضروريًّا من نفسه وذاتِهِ أنَّهُ مخيَّرٌ بين الإيمان والكفر وليس مجبرًا بسبب وجودِ جينٍ أوْ مادةٍ كيميائية في المخ.

وعمومًا فإنَّ الطريقةَ المُثْلى لفَهْمِ مذْهَبِ الملاحدة الجُدُد في هذا الأمر هو النَّظَرُ إلى التبرير التقليدي الذي استخدمهُ الملاحدةُ السابقون في مواجهة دليل الفطرة وكيف قام هؤلاء المتأخرون بالسَّيْرِ على خطاهم وإعادة صياغة تبريراتهم وتقديمها في ثوْبٍ عصريٍّ جديد.

يرى الفيلسوف الألماني (لودفيج فيورباخ Ludwig Feuerbach) أنَّ اللهَ مجردُ اختراعٍ بشريٍّ خلَقَهُ البشرُ بسببِ حاجتهم وافتقارهم إلى المواساة والسلوان في هذه الحياة مِمّا يدْفَعُهُمْ إلى شخْصَنَةِ من يتوجهون إليه بحاجاتهم وافتقارهم وحنينهم..إلخ. في شخص الله،[١٧] فاللهُ في مذْهَبِ (فيورباخ) ليس إلَّا تعبيرًا عن هذا الحنين والافتقار البشري؛ لكنَّهُ لمْ يفسِّرْ لنا لماذا وجد هذا الافتقارُ نفسَهُ ومن أين صدر. وعمومًا فإنَّ الشعورَ بالافتقار إلى الشيء لا يَعْني أنَّ هذا الشيءَ غيرُ موجودٍ بلْ ربَّما كانَ العكْسُ أوْلى وأقْرَبَ للصواب، فإنَّ الشعورَ بالجوع والعطش والافتقار للطَّعام والشَّراب لا يعْني أنَّ الطعامَ والشرابَ أوهامٌ في الذهن بلْ الواقعُ يشهدُ بعكْس ذلك.

---

http://web.archive.org/web/20090512101759/http://pharyngula.org/index/weblog/comments/no_god_and_no_god_gene_either/

(١٧) فيورباخ، "أصل الدين"، دراسة وترجمة د. أحمد عبد الحليم عطية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩١.

يعرض (ريتشارد دوكينز Richard Dawkins) –نبيُّ الإلحاد الجديد– تفسيرًا طبيعيًا لوجود الدين، فهو يرى أنَّ الإيمانَ بوجود الله هو مجردُ نتاجٍ جانبيٍّ Byproduct للتطوُّرِ الداروينيِّ. ويرى الملحد (دانيال دنيت Daniel Dennet) في كتابه (كسر السحر Breaking The Spell) أنَّ السماتِ البارزةَ للاعتقاد بوجود الله تطوَّرَتْ لأجْلِ عددٍ من الأسباب، مثلًا نحنُ ربَّما نشأ لدينا (مركزُ لله God Center) في المخِّ بسببِ نشوءِ جينٍ خفيٍّ في الشريط الوراثي وهذا الجينُ السحريُّ قدْ تَمَّ الحفاظُ عليه عن طريق آليَّةِ الانتخاب الطبيعي الداروينية لأنَّ النَّاسَ الذين يحملونَهُ يعيشونَ حياةً أفضلَ من الذين لا يحملونه، أوْ أنَّ الأفكارَ الدينيَّةَ انتقلتْ من خرافات الديانات البدائيَّةِ حتى بلغتْ صوَرَها الحاليَّةَ بالغةَ التطوُّرِ والتعقيد.[18]

ويضيفُ ريتشارد دوكينز إلى هذه الأطروحات في كتابه (وهْمُ الإله The God Delusion) أنَّ الميولَ البشريةَ الطبيعيةَ النافعةَ بيولوجيًا ربَّما تكونُ قدْ انطلقتْ في الاتجاه الخاطئ مِمّا أدَّى إلى ظهورِ الدّين أو أنَّهُ مجردُ نتاجٍ عرضيٍّ لآليات التطوُّرِ الداروينيِّ.[19] في الحقيقةِ كلامُ دوكينز عن انطلاق السمات البشرية في الاتجاه الخاطئ والنتاج العرضيِّ يثيرُ العجبَ في ضوء اعتقادِهِ الداروينيِّ، فالداروينيَّةُ مجردُ آليَّةٍ ماديَّةٍ تعتمدُ على الصُّدْفَةِ وعدَمِ وجودِ تخطيطٍ أو غايةٍ أو هدفٍ، فليس هناك في الداروينية صوابٌ وخطأٌ ولا خيْرٌ وشرٌّ ولا اتجاهٌ صحيحٌ واتجاهٌ خاطئٌ وليس هناك نتائجُ أساسيَّةٌ ونتائجُ عرضيَّةٌ بَلْ المسألةُ كلُّها تدورُ حوْلَ الصدفةِ

---

(18) Daniel C. Dennett, "Breaking the Spell: Religion as a Natural Phenomenon", Viking Penguin, New York, 2006.

(19) Richard Dawkins, "The God Delusion", Houghton Mifflin, Boston, 2006, p. 188.

والعشوائية، فكيف يتكلَّمُ دوكينز في ضوء هذه النظرية عن اتجاهٍ خاطئٍ ونتاجٍ عرَضيٍّ؟ هل هذا الكلامُ لهُ معنًى أصلًا في الداروينية؟ بلْ هل يمْكِنُ حتى أنْ يكونَ له معنى في ضوْءِ كتابات دوكينز نفسِهِ في نقْدِ الغائيَّةِ والحكمَةِ في الخلْقِ مثل كتابه الشهير (صانع الساعات الأعمى Blind Watchmaker)؟

لكن في حقيقة الأمْرِ هذه نقطةٌ جانبيةٌ إنَّما النقدُ الحقيقيُّ لهذه الأطْروحة الداروينية هو عَدَمُ وجودِ دليلٍ علْمِيٍّ حقيقيٍّ عليها. أيْنَ هو العلمُ في هذه الأطروحة؟ ما هو الدَّليلُ على اعتقاد كهذا؟ نحن لا نَجِدُ إلَّا تخميناتٍ وافتراضاتٍ في المؤضِعِ الذي كان من المتوَّقِعِ أنْ تشْغَلَهُ الأدلَّةُ والبراهينُ العلميةُ الحاسمة. نظريات دوكينز حوْلَ الأصول البيولوجية للدّين –مع طرافتها– ليْسَتْ إلَّا تخميناتٍ غارقةٍ في (قد يكون) و (ربما).

يضاف إلى هذا أنَّ حدوثَ تغييراتٍ أوْ تفاعُلاتٍ كيمائيةٍ في المُخِّ مصاحبةٍ للأفكار والمشاعر الدينية لا يعني أنَّ العلاقَةَ بينَهم هي علاقةٌ سببيَّةٌ أيْ أنَّ التفاعلاتِ الكيميائيَّةَ هي سببُ الفكرة الدينية فالأفكار والمشاعرُ أمورٌ متعددَةُ الجوانب والأبعاد، فالحب مثلًا ليس مجرَّدَ تغييرات كيميائية وهرمونية بلْ هناك وجودُ المحبوب والتجاوب معَهُ والتفكير فيه، فالتفاعلات الكيميائية ليستْ هي الدافعُ وليستْ هي الموجدُ الأساسيُّ لمشاعر الحب. نعم قدْ يقَعُ المرْءُ في الحُبِّ بسببِ كلام المحبوب أوْ أفعاله، وبسبب الشعور الذي يحسُّهُ المرْءُ والتغييرات الكيميائية المصاحبة لهذا الشعور؛ لكِنْ يبْقى المحبوبُ هو السببُ الأعْلى والأساسيُّ للوقوع في الحُب. كذلك مهما كانتْ الأسبابُ المباشرةُ الماديَّةُ أوْ النفسيَّةُ فالله تبارك وتعالى يظلُّ هو السببُ الأعلى والأسْمى لوجودِ فطْرة الإيمان به والتعلُّق به والافتقار إليه.

وأسوأُ من محاولةِ تفسير الفطرة الربانية بالنَّشاط الكهربيّ والعمليات الفيسيولوجية في الجهاز العصبيّ هو السَّعْيُ لاسْتدْعاء فرْضِيَّة (مايكل برسينجر Michael Persinger) حوْلَ أنَّ التجارِبَ والخبراتِ الدينيَّةِ تصاحِبُها أنشطةٌ دماغيَّةٌ مرضيَّةٌ Pathological للزَّعْمِ بأنَّ الدينَ نفسَهُ ليْسَ إلَّا مرضًا،[٢٠] وفي نفْسِ الوقت لمْ يكلِّفْ دوكينز خاطرَهُ أنْ يوضِّحَ لقرائِهِ أنَّ تجاربَ برسينجر لاقَتْ نقدًا ضاريًا لأسبابٍ متعلقةٍ بتصوُّرِ وتصميمِ هذه التجارب، وبالتالي فإنَّ فرضيَّتَهُ لمْ تكْتسب القبولَ العلمي.[٢١] هذه التجاربُ تقومُ على ارتداء خوْذَةٍ تسلِّطُ بعضَ الموجات الكهرومغناطيسيَّةِ الضعيفةِ على (الفَصِّ الصُّدْغِيِّ Temporal Lobe) في المخ وأنَّ هذا يؤدي إلى اسْتارةِ الأفْكار والمشاعر الدينيَّةِ؛ لكنَّ نتائجَ هذه التجارِبِ مشكوكٌ في مصداقيَّتِها بسببِ قصورِها في التَّعْمِيَةِ وتسبُّبِها في إعطاء إيحاءاتٍ للأشخاص تحْتَ التجربة مما يؤدِّي إلى تحصيلِ نتائجَ تعتمدُ على تهيئة المريض أكثرَ مما تعتمدُ على التأثير المزعوم للموجات المغناطيسية،[٢٢] كذلك أنْكَرَ بعضُ المنتقدين قدرةَ هذه الموجات المغناطيسية الضعيفةِ على اختراق

---

(20) Ibid., p. 168.

(21) Peter Fenwick, "The Neurophysiology of Religious Experience, in Psychiatry and Religion: Context, Consensus and Controversies", ed. D. Bhugra. London: Routledge, 1996. pp. 167-77.

(22) Granqvist, P; Fredrikson, M; Unge, P; Hagenfeldt, A; Valind, S; Larhammar, D; Larsson, M (2005). "Sensed presence and mystical experiences are predicted by suggestibility, not by the application of transcranial weak complex magnetic fields". Neuroscience Letters 379 (1): 1–6.
Also: Larsson, M., Larhammarb, D., Fredrikson, M., and Granqvist, P. (2005), Reply to M.A. Persinger and S. A. Koren's response to Granqvist et al. "Sensed presence and mystical experiences are predicted by suggestibility, not by the application of transcranial weak magnetic fields", Neuroscience Letters 380 (3): 348–350.

الجمجمة أصلًا وبلوغِ الفصّ الصدغي.[٢٣] يُضافُ إلى هذا كلِّهِ أنَّهُ عندما حاولَ بعضُ الباحثين تكرارَ التجربة فشلتْ في تحقيق النتائج الذي زعمَها بيرسينجر ممّا شكّكَ في مصداقيَّةِ إجراءاتِ التجربة التي اتَّبَعَها هذا الأخيرُ وبالتالي في نتائجها.[٢٤]

في مَوْضِعٍ آخرٍ من كتاب (وهْم الإله) يعرض دوكينز الإلحادَ على أنَّهُ التطوُّرُ الطبيعيُّ للأديان. في البداية كان هناك آلهةٌ متعددةٌ Polytheism ثُمَّ مع مرور الزّمان وتطوُّرِ الإنسان ظلَّتْ هذه الآلهةُ تقِلُّ تدريجيًّا حتى بلغْنا مرحلةَ (الإله الواحد Monotheism). الإلحادُ يأخذُنا خطوةً واحدةً فقطْ للأمام، وكما يشيرُ دوكينز هو مجرَّدُ الاستمرار في العد التنازليِّ والإيمان بإلهٍ أقلَّ من السابق بواحد) وهذه هي الخطوةُ التاليةُ للجنْسِ البشريِّ في سُلَّمِ التطوُّرِ الديني؛[٢٥] لكنَّ الحقيقةَ أنَّ تاريخَ الأديان لا يُشيرُ إلى تدرُّجِ البشرية من تعدُّدِ الآلهة إلى الإله الواحد بالشَّكْلِ الذي يبرِّرُ التَّقَدُّمَ إلى الإلحاد، فما لديْنا من الخرافات الوثنيَّةِ القديمةِ لا يشيرُ إلى بداية ديانات بقدر ما يشيرُ إلى المعتقدات النهائية لأمَمٍ قدْ تحلَّلَتْ دياناتُها الصحيحةُ وتحرفتْ بعد أنْ مزَّقَتْ أهلَها الحروبُ وأفسدتْهم الآفاتُ الاجتماعيَّةُ وضاعَ اهتمامُهم بحفظِ أصولِ دينهم حتى صارتْ معتقداتُهم غارقةً في الخرافة والدجل، وقدْ أنصفَ العلامة (هوفدنج Hoffding) حين قال: "إنَّهُ يبْعُدُ كُلَّ البعْدِ أنْ ينجَحَ تاريخُ الأديان في حلِّ مشكلةِ بزوغِ الدِّينِ في النَّوْعِ الإنسانيِّ.. فإنَّ التاريخَ لا يُصَوِّرُ لنا هذه البدايةَ الأولى في مَوْضِعٍ ما وكلُّ ما نجِدُهُ إنَّما هو سلسلةٌ من صُوَرٍ مختلفَةِ الديانات متقدِّمةٍ قليلًا أو كثيرًا، حتى إنَّ

---

(23) Gendle, MH & McGrath, MG (2012). "Can the 8-coil shakti alter subjective emotional experience? A randomized, placebo-controlled study.". Perceptual and Motor Skills 114 (1): 217–235.

(24) Craig Aaen-Stockdale (2012). "Neuroscience for the Soul". The Psychologist 25 (7): 520–523.

(25) Dawkins, God Delusion, pp. 31-38

أحَطِّ القبائل الهمجيةِ التي نعرفُها قدْ مرّتْ بأدوارٍ شتى وتطوّرَتْ تطورًا بعيدًا".[26] وينقل الأستاذ (عبد الله الشهري) في كتابه (ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان) عن العديد من الباحثين ـأنَّ التوحيدَ مُتَقَدِّمٌ على كلِّ صوَرِ الشِّرْكِ التي ظهرتْ لاحقا. فالديانةُ الهنديَّةُ مثلًا بدأتْ بحسب نصوصٍ في (الفيداس) بالتوحيد ثُمَّ تحَلَّلَتْ إلى صُوَرٍ متعددة من الشرك.[27] وينْقلُ كذلك قول مجموعة من الباحثين في دورية (الإنسان البدائي) العلميـة ونصه: "يظْهَرُ أنَّ تاريخَ الدِّين عبارةٌ عن تحَلُّلٍ أوْ انحرافٍ من صورةٍ مبكِّرةٍ خالصةٍ ونقيَّةٍ من التوحيد".[28]

يمكنُنا تصنيفُ دوكينز ودينيت ضِمْنَ الذين يقدمون تفسيراتٍ طبيعيةً ماديةً لظهور الدِّين مثل (فيورباخ وماركس وفرويد). مهما كانتْ أهميَّةُ الدِّين فهو عنْدَ القوْمِ إنَّما صدَرَ عن العقْلِ البشريِّ وعليه فهم يسعون لتقديم تفسيراتٍ وتبريراتٍ طبيعيةٍ لوجودِ فطرة الاعتقادِ بوجود إله؛ لكنْ في الحقيقة هذه التفسيراتُ ليْسـتْ دليلًا على أيِّ شيءٍ لأنَّها تفْتَرِضُ مسبقًا أنَّهُ لا إله، ثُمَّ تنْطَلِقُ لتبريرِ وجودِ فطْرَةِ الإيمان من وجْهَةِ نظرٍ ماديَّةٍ محضةٍ فهي أطروحاتٌ إلحاديَّةٌ في فرْضِها الأساسيِّ وليْسَتْ علميَّةً محايدةً كما يظنُّ البعضُ وبالتالي فاستخدامُها للبرْهنَةِ على عدم

---

(26) Harald Hoffding, "Philosophie de la Religion", Paris, Alcan 1909, pp. 126-127

نقلاً عن د. محمد عبد الله دراز، "الدين"، دار القلم – الكويت، الطبعة الثالثة ٢٠١٠، ص١٧٢.

(27) J. McCabee, The Growth of Religion: A Study of its Origin and Development, Watts & Co., London 1918, p. 191.

نقلاً عن عبد الله الشهري، "ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان"، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠١٤م، ص٣١.

(28) JMC, The Origin and Early History of Religion, Primitive Man, 1929. Vol. 2, n. 3/4, p. 45.

نقلاً عن عبد الله الشهري، "ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان"، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠١٤م، ص٣٢.

وجود إلهٍ غيْرُ مقبولٍ عقلًا وإلَّا فكيف تفسِّرُ الشيءَ في ضوْءِ نظريَّةٍ ما ثُمَّ تسْتعْمل هذا التفسيرَ كبرهانٍ على صحَّةِ هذه النظرية؟ هذا سيكونُ نموذجًا لما يسْمِيهِ علماءُ المنْطقِ بـ(الدوْرِ المُمْتَنِعِ Circular Argument) وهو أنْ يكونَ الشيْءُ دليلًا على نفْسِهِ بواسطةٍ أوْ بغير واسطة، وهو باطلٌ بالبداهة العقلية فالتَّفْسيرُ الماديُّ يعْتَمِدُ على إنْكار وجود الله وإنكار وجود الله يعْتَمِدُ على التفسير المادي وهكذا فأيُّهما أسبقُ: الإنكارُ أمْ التفسيرُ؟ البيضةُ أمْ الدجاجةُ؟

الطريفُ مع كُلِّ هذا أنْ يساوِيَ دوكينز بين الاعتقادِ بوجود إلهٍ والاعتقادِ بوجود فنجانِ شايٍ يدورُ حول الشمس،[٢٩] وكأنَّ الاعتقادَ بهذا الكوب مثلًا مركوزٌ في الفطرة أو أنَّ هناك على وجْهِ الأرض من يؤْمِنُ بمثل هذا الكوب؛ لكنْ هذه هي طريقةُ دوكينز والملاحدةُ عمومًا في التَّهَكُّمِ والسخريةِ والخَطِّ من كلام المخالف وتشويه أدلَّتِهِ والتَّعْمِيَةِ على مواطن حُجِّيَّتِها وهي استراتيجيةٌ مدروسةٌ ومتَّبَعَةٌ بانتظامٍ عن طريق كبراء الإلحاد الجديد ضِدَّ مخالفيهم.[٣٠]

- فيروس الإيمان:

يجْدُرُ بنا عنْدَ هذه النقطةِ أنْ نُشِيرَ إلى مفْهومٍ جديدٍ أدْخَلَهُ دوكينز إلى ساحَةِ الجَدَلِ بين الدِّين والإلحاد وهو مفهومُ فيروس الإيمان، ففي عملٍ وثائقيٍّ كبيرٍ قامَ دوكينز بترويج مفهومِ أنَّ الإيمانَ بوجود الله هو عبارةٌ عن فيروس عقليٍّ يُصيبُ العقولَ السليمة.[٣١] بالطَّبْعِ الرسالةُ قويَّةٌ وواضحةٌ في ظلِّ مؤْقفِ المرْءِ العاديِّ من الفيروسات البيولوجية التي تُسَبِّبُ الإيدزَ وغيرَهُ من الأمراض ومن فيروسات

---

(29) Dawkins, "God Delusion", pp. 51-54.

(٣٠) عبد الله العجيري، "ميليشيا الإلحاد"، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، ص ٥١-٦٠.

(31) Youtube: The Root of All Evil? - "The Virus of Faith" https://www.youtube.com/watch?v=aMUG6qd98wc.

الكمبيوتر التي تخرّبُ أجهزةَ الكمبيوتر وتصيبها بالعَطَبِ والشللِ، وبالتالي فالمعنى السلبيُّ الذي سيتلقاهُ القارئُ أوْ المشاهدُ بخصوص الإيمان بوجود إلهٍ سيكون غايةً في الوضوح. وبما أنَّ فطرةَ الإيمان بالله -من وجهة نظر دوكينز- ليْسَتْ إلَّا وَهْمًا غيرَ عقلاني، فلابُدَّ من وجودِ تفسيرٍ علْمِيٍّ لانْتشار هذا (الوهْم) على هذا النطاق الواسع بين النّاس والأُمَمِ والشعوب، لهذا خرجَ علينا بهذه الأطروحةِ أنَّ الإيمانَ بالله فيروسٌ عقليٌّ يغْدِي النّاسَ وينْتَقِلُ من شخْصٍ إلى آخر.

الفيروساتُ البيولوجيَّةُ ليْستْ فرضيَّةً بلْ يُمْكِنُ رؤيتُها وملاحظتُها في المَعْمَلِ وفي الكائنات الحيَّةِ المُصابَةِ وتحديدِ شكْلِها وتركيبِها وطريقةِ انْتشارها. أمّا فيروسُ دوكينز فهو فرْضِيَّةٌ جدَلِيَّةٌ ليْسَ إلَّا وغرض هذه الفرضيَّةِ هو الحَطُّ والتحقير من الأفكار التي لا تعجبُ دوكينز.

هل كلُّ الأفكارِ فيروساتٌ عقلية؟ دوكينز هنا يفرّقُ بين الأفكار العلمية العقلانية المبنية على الدليل والأفكار الوهْميَّةِ غيْرِ العقلانية مثل الأفكار الدينية، فهذه الأخيرة تعتبر فيروسات عقلية. وهنا يبرز السؤال: ما هو معيارُ التَّفْرِقَةِ بين العلمي وغير العلمي؟ أو بين العقلانيِّ وغيْرِ العقلاني؟ دوكينز لا يرى أيَّةَ مشكلةٍ في هذا الأمْرِ حيْثُ يرى بإمكانِهِ التفرقَةُ بسهولة بين هذا وذاك. في الحقيقة هذا وضعٌ كارثيٌّ لأنَّهُ يعني الاعتمادَ على الحكم والتقييم الشخصيِّ لريتشارد دوكينز على الأفكار، فهل هذا هو العلمُ والأسلوبُ العلميُّ الذي يبَشِّرُنا به دوكينز وأضرابُه من الملاحدة الجدد؟

- الميم:

الميم Meme فكرةٌ شيِّقَةٌ جدًّا تلْعبُ دوْرًا بارزًا في كتابات دوكينز التي تحاولُ تفسيرَ أصْلِ الدّين ووجودِ فطرة الإيمان بالله. تعودُ الفكرةُ إلى كتاب دوكينز (الجينُ الأنانيThe Selfish Gene) الذي صدر عام ١٩٧٦م، وتعتمدُ على أنَّ

هناك تواز بيْنَ التطوُّر البيولوجيّ والتطوُّرِ الثقافيّ وأنَّ كليْهما يعتمدُ على وحداتِ للتكاثر. في حالة البيولوجيا وحْدَةُ التكاثر في الجين وبالمقابل تكونُ وحْدَةُ التكاثر المفترضةُ في الثقافةِ وعالمِ الأفكار هي الميم، وهذه الميماتُ تنتقل من مخٍّ إلى آخر.

بالنّسبةِ لدوكينز تُعْتَبَرُ فكرةُ الله هي مثالٌ نموذجيٌّ للميم، حيْثُ يرى أنَّ الاعتقادَ الدينيَّ ليْسَ إلَّا إيمانًا أعْمى غيرَ مبنيٍّ على دليلٍ قابلٍ للفحص، إذًا لماذا يؤمنُ النّاسُ بالله بيْنَما هذا الإلهُ غيْرُ موجود؟ في الإجابة على هذا السؤال هو يقْتَرِحُ وجودَ (ميم الإله God Meme) الذي يقومُ بالتكاثر داخلَ أمخاخ البشر وأنَّ هذا الميمَ لهُ قدْرَةٌ عاليةٌ على البقاء والانْتقال من مُخٍّ إلى آخر في البيئة الثقافية للبشر.[٣٢] فالنَّاسُ لا يؤمنون بالله لأنَّهم قاموا بالنَّظرِ والتَّدَبُّرِ في المسألة بلْ لأنَّهم مصابونَ بالعدوى من ميمٍ قويٍّ تسللَ إلى أدمغتِهم.

لكنْ هل سبقَ لأحدٍ أنْ رأى هذه الأشياءَ وهي تتسللُ من مُخٍّ لآخر أوْ ترقُدُ في مخ ما؟ المسألةُ هنا ليست متعلقةً بالدّين بلْ بفرضيَّةٍ علميَّةٍ مزْعومةٍ ليْسَ لها تعريفٌ إجرائيٌّ دقيقٌ أوْ نموذجٌ للاخْتبار حوْلَ كيفيَّةِ انْتشارها وتأْثيرها في الثَّقافة الإنسانية فضلًا عن كوْنِها بمعزلٍ عن نماذجَ علمِ الاجتماع المعنية بانتشار الثقافات والأفكار وتفاعلها.

الميماتُ عبارةٌ عنْ مفهومٍ بيولوجيٍّ نابعٍ من اعتقاد دوكينز الأصيل في قدرة الداروينية على تفسير كلّ شيء؛ لكن لماذا يسْعى علمُ الأحياء إلى تفسير جوْهَرِ الثقافة؟ أليس هذا هو مجالُ علماء الإنسانيّاتِ والاجتماع؟ الميمُ مفهومٌ هلاميٌّ

(32) Richard Dawkins, "The Selfish Gene", 2nd ed (Oxford: Oxford University Press, 1989), p. 193.

يسعى دوكنيز كعالم أحياءٍ تطوُّريٍّ عن طريقِهِ إلى تفسير ظواهرَ ثقافيةٍ تقَعُ في إطار علومٍ أخرى ليس من مجال تخصصه.[٣٣]

في كتابه (وهم الإله) يقدِّمُ دوكينز الميماتِ كما لو كانتْ فكرةً علميَّةً راسخةً متجاهلًا حقيقةَ مكانتِها الهزيلةِ في الدوائر العلمية. يقدمها دوكنيز كما لو كانتْ ذات وجودٍ حقيقيٍّ في الواقع ويزعُمُ قدرتَها على تفسير فطرة الإيمان بالله وأصْلِ الدّين في الإنسان؛ لكنْ قبْلَ أنْ نَبْلُغَ هذه المرحلةَ لابُدَّ من وجودِ اعترافٍ فعليٍّ في الدوائر العلمية المعتبرة بصحة هذه الفرضية وأنَّ العلْمَ بحاجةٍ إليها فعلاً.

يقومُ نقْدُ دوكينز للدّين اعتمادًا على افْتراض وجود شيءٍ –أيْ الميم– لا يمْكِنُ رصدُهُ وليس له ضرورةٌ علميَّةٌ بل يمْكِنُ الاستغناءُ عنه بمنتهى السهولة؛ لكنْ أليس هذا هو نفْسُ محْوَرِ النَّقْدِ الإلحاديِّ لوجود الله؟ أليس الله –من وجهة نظرهم– فرضيَّةً عن وجود شيءٍ لا يمْكِنُ رصدُهُ وليس له ضرورةٌ علميَّةٌ بلْ يمْكِنُ الاستغناءُ عنه؟ بلْ إنَّ الدليلَ العلميَّ على وجودِ الميمات أضعفُ بمراحل من أدلَّةِ المؤمنين على وجود الله. وقوع دوكينز بهذه الصورةِ في عيْنِ ما يُنْكِرُهُ على المؤمنين بوجود الله يَدُلُّ على أنَّ القوْمَ ليسَ لديهم منهجيةٌ علميةٌ فعليةٌ وأنَّ ما يتشدَّقونَ به من اتّباعِ العلْمِ والدّليلِ ليْسَ إلَّا مقولاتٍ دعائيةً ومتاجرةً بالعلم لترويج الإلحاد لا أكثر.

ـ ما الدليل على صدق الفطرة؟

عند هذه النقطة قد يظْهَرُ السؤالُ التالي: ما الدليلُ على صدْقِ الفطرة؟ الفطرةُ في نهاية الأمْرِ حاسَّةٌ أوْ قُوَّةٌ داخليَّةٌ فكيف تكونُ دليلاً على وجود الخالق؟ ألا يمْكِنُ فعلًا أنْ تكونَ وهْمًا ليْس له وجودٌ خارج الذهن؟

---

[33] James W Polichak, "Memes—What Are They Good For?" Skeptic 6, no. 3 (1998): 45-54.

فالجوابُ على هذا السؤال أنَّ صدْقَ الفطرةِ يكونُ في استعمالها واختبارها والتأكدِ من صلاحيتِها من عدمها، كما يتأكَّدُ المرءُ من صلاح آلةٍ معينةٍ باستعمالها. فالعقلُ عندما يستَعْمِلُ البديهيات في إصدار الأحكام العقلية يُدْرِكُ أنَّ موضوعاتِ أحكامِهِ هي بالفعْلِ كما يحكمُ عليها، وأنَّ الثلاثةَ أصغرُ من العشرة في الواقع كما هي في عقله، وأنَّ النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان في الواقع الخارجي كما يَحْكُمُ عقلُهُ وتقضي البديهيات، وهكذا حتى يذْكُرُ بعضُ العلماء أنَّ الانسجامَ الحاصلَ بين بنيةِ عقولِنا وبنيةِ الكوْنِ هو دليلٌ بارزٌ على وجود الله تعالى وخلقه العالم والعقلَ الإنسانيَّ بطريقةٍ متوافقةٍ متناغمةٍ بشكْلٍ يؤدي إلى قُدْرَةِ عقولنا على فَهْمِ العالم من حولنا.(٣٤)

ونفس المسألة في الغرائز الفطرية تجِدُها عند الاستعمال والتفعيل والتطبيق تؤدي إلى هداية المخلوق لما هو خيْرٌ له في الحياة والمعاش، فغرائزُ الجوعِ والعطشِ وهجراتُ الطيور والحيواناتِ والحشراتِ وبناءُ أعشاشِ النّملِ والنّحْلِ والزنابير والعناكب وشرانقُ الفراشات ومهاراتُ الافتراس والتخفي من الأعداء وغيرها تجدُها عند استعمالها من المخلوق لا تؤدي إلَّا ما فيه نفْعُهُ ومصلحتُهُ وهدايتُهُ للخير. وسأضْرِبُ مثالًا لهذه الأفعال الغريزية في الإنسان ردودُ الأفعالِ البدائيَّةِ الموجودةِ في (حديثي الولادة Newborn Reflexes)، ومن أشْهَرِها عنْدَ أطباء الأطفال ما يُعرفُ باسم (ردُّ فعل التقام الحلمة Rooting Reflex) وهو التفاتُ الطفل حديثِ الولادَةِ بفَمِهِ ووجْهِهِ عنْدَما يلْمَسُ أحدُهم خدَّه، فإذا لمسَتْ خدَّهُ الأيمن أدارَ وجهَهُ جهةَ اليمين وفتَحَ فاهُ، وإذا لمست الخدَّ الأيْسَرَ أدارَهُ

---

(٣٤) د. عمرو شريف، "وهم الإلحاد"، هدية مجلة الأزهر، عدد محرم ١٤٣٥هـ، ص٥٠.

يسارًا وفَتَحَ فاهُ، وفائدةُ هذا الفعل هو أنَّهُ غريزةٌ بدائيَّةٌ يولَدُ بها الطِّفلُ تساعده في العثور على ثدْيِ أمِّهِ والتقامه. وأشهر من هذا ما يُعْرفُ باسم «ردُّ فعل الرضاعة Suckling Reflex» وهو قيامُ الطفل بممارسة فعْلِ المَصِّ والرَّضاعةِ عندما يوضعُ أيُّ شيءٍ في فمه، وفائدةُ هذا الفعل هو حصولُ الطفلِ على اللبن عندما يوضعُ الثَّدْيُ في فمه. وهناك العديدُ من هذه الأفعال اللاإرادية الموجودة في حديثي الولادة تصِفُها الكتب الطبيةُ المتخصصة،[٣٥] وإنَّما ضربْتُ بها المثلَ لوضوح دلالتها على مرادي وهو أنَّ هذه الأفعالَ الغريزيَّةَ المركوزةَ في الفطْرَةِ عند استعمالها وتطبيقها تخْدِمُ الكائنَ الحيَّ بشكْلٍ لا تستقيمُ الحياةُ بدونه وإلَّا فكيف يعيشُ الوليدُ دون أنْ يلتقمَ ثدْيَ أُمِّهِ ويرضعَ اللبن؟ فهذا دليلٌ على صلاحيَّةِ الغرائز الفطريَّةِ عند التطبيق والتفعيل، وأنَّها محَلُّ ثقةٍ في جلب الخيْرِ للمخلوق حتى ذكرَ العلماءُ في تفسير قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[٣٦] أنَّ معنى هَدَى هو الهدايةُ الغريزيةُ الفطريةُ التي ركَّبها الله في المخلوقات، إذ المرادُ هاهنا الهدايةُ العامَّةُ لمصالح الحيوان في معاشه، وهو نظير قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[٣٧] فإعطاءُ الخلقِ إيجادُه في الخارج، والهدايةُ والتعليمُ والدلالةُ على سبيل بقائِهِ وما يحفظُهُ ويقيمُه. فإنَّ الآيةَ شاملةٌ لهداية الحيوان كلِّهِ ناطقِه وبهيمِهِ وطيْرِهِ ودوابِّهِ فصيحِهِ وأعْجَمِهِ.[٣٨]

---

(35) Volpe, JJ. "Neurological examination: normal and abnormal features". In Volpe JJ. Neurology of the Newborn. 5th ed. Philadelphia, Pa: Saunders Elsevier; 2008:chap 3.

(٣٦) سورة الأعلى ١-٣.

(٣٧) سورة طه: ٥٠.

(٣٨) ابن القيم، "شفاء العليل"، دار الحديث – القاهرة، ص١٦٣.

كذلك القيَمُ الأخلاقيّةُ الفطريّةُ تظهرُ مصداقيّتُها عند استعمالها، هل تجلبُ الخيْرَ والمنفعةَ والمصلحةَ امْ تؤدّي إلى العكس. تصّور مجتمعًا لا يرى بالكذب باسًا ولا يعدُّه مذمّة، فالناس فيه كلُّهم كذابون هل يكونُ في هذا المجتمع علم؟ كلا، فإنَّ من ضرورات العلْم الصّدْقُ في الرواية، فإذا ادَّعى إنسان في هذا المجتمع أنَّهُ اكتشف في مختبره حقيقةً علميةً ما، فإننا لن نصدقه لأنّنا لا نعْلَم إنْ كان صادقًا أو كاذبًا بلْ سنقْطَعُ بكذْبِهِ إذا وجدْنا أنَّ هذه الدعوى تخْدِمُ غرضًا له. ولنْ تكون هنالك كتبٌ ولا دروسٌ ولا محاضراتٌ ولا مدارسُ ولا جامعات. ما الفائدة من قراءة كتابٍ لا نعْلَمُ إنْ كان صاحبُهُ صادقًا أو كاذبًا، ولا أستطيعُ أنْ أستعينَ بغيري لأنَّهُ هو الآخرُ قد يكْذِبُ عليَّ؟ وقل مثل ذلك عن المدرسين والمحاضرين وقُلْ مثلَهُ عن رواة الأخبار في سائر وسائل الإعلام وقلْ مثله عن التجار والزراع والصناع، كيف تتعاملُ مع أيٍّ من هؤلاء إذا كُنْتَ لا تدْري أصادِقٌ هو أمْ كاذبٌ فيما يدَّعِيهِ لك من ثمنِ بضاعة أوْ جوْدَةِ محصولٍ أو إحكامِ صنعة؟ الصدْقُ ليس فضيلةً خُلُقيةً فحسب بل هو ضرورةٌ اجتماعيةٌ أيضًا، وعليه كلما كَثُرَ عددُ الصادقين في المجتمع كانَ المجتمعُ أقْوى تماسُكًا وأدْعَى لأنْ تزدهرَ فيه العلومُ والتقنيةُ والاقتصادُ إذا ما توفَّرَتْ شروطُها الأخرى. وكلما تفَشّى الكذِبُ بين حُكّامِهِ وولاةِ أمرِهِ وعلمائهِ وتجّارِهِ وزرّاعِهِ وصنّاعِهِ كان أكْثَرَ تمزقًا وأقلَّ تطورًا في تلك الأمور كلِّها. فالصادقون إذًا يُسْدُون إلى المجتمع خدمةً هي من ضرورات وجوده، والكذابون هم معاولُ تقويضه.[٣٩] وقُلْ مثل هذا على كلِّ قيمةٍ أخلاقيةٍ تجِدُ حسْنَها في الفطرة. فهذا كلُّهُ يَدُلُّ على مصداقيةِ القيمِ الأخلاقيّةِ الفطْريّةِ عند التطبيق وأنّها سبيلٌ للخير والنفع والصلاح.

---

(٣٩) د. جعفر شيخ إدريس، "الفيزياء ووجود الخالق"، كتاب مجلة البيان – الرياض، الطبعة الأولى ٢٠٠١، ص٥٧–٥٨.

يظْهَرُ ممّا سبَقَ مصداقيَّةُ وموثوقيَّةُ الفطرة عنْدَ التعامُلِ والتَّفاعُلِ مع العالم الخارجي، وأنَّها لا تخبر عن أوْهامٍ أوْ ضلالاتٍ وبالتالي فهي محلُّ ثقةٍ في جميع مفرداتها وأهَمُّها فطرةُ الإيمان بالله والافتقار إليه سبحانه وتعالى.

الأدلة المستمدة من الفطرة

ـ الدليل الأنطولوجي:

وهو من أبْرزِ الأدلَّةِ المستمدةِ من الفطْرة ومن أبرز صياغاتِهِ صياغةُ الفيلسوف الفرنسي (رينيه ديكارت) وهو يعتمِدُ على حقيقةِ أنَّ إدراكَ الفطرةِ للنَّقْصِ يغني وجودَ الكمال مثل أنَّ إدراكَ العَطَشِ يغني وجودَ الماء، وبما أنَّا ندْرِكُ من واقعِ النَّقْصِ المحيطِ بنا والواقعِ فينا أنَّ هناك كمالًا لا يلْحَقُهُ نقْصٌ، ومِنْ أهمِّ صفات الكمال أنْ يكونَ واجبَ الوجودِ فبالتالي هو موجودٌ وجودًا واجبًا ضروريًّا لا يلحقُهُ نقْصٌ ولا عَدَم.

لهذا فمن بعض صياغات هذا البرهان هو أنَّهُ إذا كان اللهُ هو واجبُ الوجود –وواجبُ الوجود موجودٌ ضرورة– فإنَّ اللهَ موجودٌ قطْعا.

وهذا البرهانُ من النَّوْعِ (القبلي Priori) أيْ أنَّهُ ينْطَلِقُ لإثبات وجود الله من حقيقة هذا الوجود نفسه، وهو يختلفُ عن البرهان (الخلفي Posteriori) الذي يبْدَأُ من النتيجة رجوعًا إلى السَّبَبِ أوْ من الأثرِ إلى المؤثّر. فعمليّةُ الاسْتنْتاج في هذا البرهان تمْضي من جوهر الوجودِ الإلهيِّ الضروريِّ إلى إثباتِ وجودِهِ بخلافِ غيْرِهِ من الأدلَّةِ المبنيَّةِ على السببيَّةِ التي ترصدُ النتيجةَ لتستنتج بها وجود السَّبِب أوْ الفاعل.

فمجرَّدُ إدراك الكامل واجب الوجود يقضي بوجودِهِ لأنَّ واجبَ الوجودِ موجودٌ ضرورةً بخلاف أيِّ شيْءٍ آخرٍ من الممكنات. لهذا سُمِّيَ هذا البرهانُ بالأنطولوجي –أيْ الوجوديّ– لأنَّهُ يستدِلُّ على وجودِ الله بنوْعيَّةِ وجودِهِ سبحانه وتعالى. وهو

في صياغةِ القديس (أنسلم) والفيلسوف (ديكارت) يبْدأُ بتقريرِ وجودِ الكمال اللانهائيّ والذي من خواصِّهِ وجوبُ الوجود.

لكن هناك صياغاتٍ أخرى لهذا البرهان فيما يُعْرَفُ عن الفلاسفة المسلمين باسْمِ (دليل الوجود أو الدليل الوجودي)، وقد اشْتَهَرَ عن الفارابي وابْنِ سينا ومن تبعهما، ويتلخص في الاعتماد على الوجود ذاتِهِ في إثْبات وجود الله فقالوا: "إذا وجدْنا من هذا الوجود العام وجودًا واجبًا فقد وصلْنا إلى المطلوب لأنَّ هذا الوجودَ الواجبَ إنَّما هو الله تعالى وإلَّا التفتْنا إلى الوجودات الممكنة، وبما أنَّ كلَّ مُمْكِنٍ فلَهُ علَّةٌ هي سبَبُ وجوده فإنَّا نرْتَقِي في سلسلة المعلولات والعلل؛ لكنْ لابُدَّ أنْ تنتهي هذه السلسلةُ إلى علَّةٍ هي واجبُ الوجود ذاتِهِ، وذلك بعد بطلان الدور والتسلسل".[٤٠] ويقول (أبو البركات البغدادي) مادحًا هذه الطريقة: "فهذه أيضًا طريقٌ استخرجها المهتدون بعلم أرسطوطاليس وبمذاهبه وأنظارِهِ وفيها زيادَةُ بيانٍ ووضوحُ محجَّةٍ وحصولُ معنًى وسهولةُ ماخذ".[٤١]

لكن يعيبُ هذا الدليلَ بهذه الصياغةِ أنَّهُ لا يُثْبِتُ إلَّا وقوعَ واجبِ الوجودِ وهو ما لا يُنازِعُ فيه الملاحدةُ أصلًا لأنَّهم يقولون: إنَّ هذا العالمَ واجبُ الوجود بنَفْسِهِ ولَمْ يخْلُقْهُ أحدٌ، فإثْباتُ واجبِ الوجود في حدِّ ذاتِهِ ليس مطلوبًا من المطالب الإلهية، وإنَّما المطلوبُ هو إثباتُ صِحَّةِ مقصودِنا بأنَّ هذا الموجودَ الواجبَ هو اللهُ سبحانَهُ وتعالى.

---

[٤٠] ابن سينا، "الإشارات"، ج٣ ص٤٨٢-٤٨٣، "النجاة"، ص٢٣٥.

الفارابي، "فصوص الحكم"، ص٦٠، "عيون المسائل" ص٥٠.

نصير الدين الطوسي، "تجريد الاعتقاد"، ص١٥٤-١٥٥.

[٤١] أبو البركات البغدادي، "المعتبر في الحكمة"، ج٣، ص١٣٣.

وهنا يتفوَّقُ البرهانُ الأنطولوجيُّ الديكارتيُّ نظرًا لانْطلاقِهِ من نسبة الكمال إلى واجبِ الوجود وارتكازِهِ على الفطْرَةِ في ذلك، وبالتالي بتقريره لإثبات وجود الله أقْوَى وأمتنُ من هذه الجهةِ لأنَّهُ لا يثبتُ وجودَ ما هو واجبُ الوجود فقط، بلْ يثبتُ وجودَ الكائن المتَّصِف بكلّ الكمالات بما فيها وجوبِ الوجود وهو اللهُ عز وجل.

لكن هناك انتقاداتٌ شهيرةٌ وجِّهَتْ لهذا البرهان أبرزُها ما وجَّهَهُ الفيلسوف الألماني (إيمانويل كانت) ووافَقَهُ عليه شيخ الإسلام للدولة العثمانية (مصطفى صبري)[٤٢] من أنَّ تصوُّرَ العقْلِ لوجودِ الشيْءِ لا يقتضي وجودَهُ في الواقع لأنَّ هناك فارقًا بين وجود الشيء في الذِّهْن ووجودِهِ في الواقع الخارجي، أوْ كما قال كانت: "هناك فارقٌ بين تخيُّلِي لعشرةِ دولارات ووجودِ عشرة دولارات فعليًّا في جيبي". وهذا الانتقادُ صحيحٌ في ذاتِهِ لكنَّهُ لا يتعلَّقُ بموْطِنِ حجيَّةِ البرهان الأنطولوجي لأنه ليس متعلقًا بالتصوُّر العقليِّ المحْضِ للكمال المطلق بلْ يتعلق بالإدراك الفطريِّ المركوز في النفس لهذا الكمال انطلاقًا من النقْصِ الواقع في نفس الإنسان وفيما حوْلَهُ من موجودات فهو كإدراكِ العطشان لوجود الماء فهو ليس تصورًا عقليًّا محضًا يخضع للفضاء الواسع للجواز العقلي بلْ هو إدراكٌ بدهيٌّ مستمَدٌّ من الفطرة.

والحقيقةُ أنَّ هناك دراساتٍ علميةً تثْبِتُ أنَّ الإنسانَ يميلُ بفطْرَتِهِ للإيمان بوجودِ إلهٍ خارقٍ يتميَّزُ بالكمال في العلم والقدرة،[٤٣] وبرهانُ هذا يظْهرُ في السَّعْيِ غيْرِ

---

[٤٢] مصطفى صبري، "موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين"، ج٢، ص٢١٤- ٢١٨.
[43] Ibid, footnote 13.

الواعي لخلق أمثال هذا الإلهِ في شخصياتٍ مثل (سوبرمان أوْ باتمان أوْ إكس من) أو غيرهم.

- البرهان الأخلاقي العملي:

وهو يخْتَلِفُ عن البرهان الأخلاقيّ الأنطولوجيّ التي تكلَّمنا عنْهُ في السابق،[٤٤] وهو مستمدٌّ من الفطرةِ الأخلاقيَّةِ المركوزة في بني الإنسان حيْثُ يمْلِكُ كلُّ إنسانٍ حسَّ التمييز بين الصواب والخطأ، وأنَّ وقوعَ الظُّلْمِ والفساد في هذا العالمِ يدْفَعُنا لإدراك ضرورة وجود عالم آخرٍ أوْ حياةٍ أُخْرى بعد الموت تعودُ فيها الحقوقُ إلى أصحابها وتتحققُ فيها العدالة المطلقة، فكما أنَّ إدراكَ النَّقْصِ يؤدّي للتطلُّعِ إلى الكمال، وكما أنَّ إدراكَ الجوعِ والعطش يؤدي للتطلُّعِ إلى الطعام والشراب، كذلك إدراكُ الظلم والبغْيِ في هذا العالم يؤدّي للتطلع إلى تحققِ العدالة والقصاص في عالم آخر.

ولأجْلِ تحقُّقِ هذه العدالةِ المطلقةِ لابُدَّ من قاضٍ يحْكُمُ بالعدْلِ وينفذه، هذا القاضي لا يصِحُّ أن يكونَ فاسدًا أوْ أنْ تحومَ حوْلَهُ الشبهاتُ، بل يجبُ أنْ يكونَ فوْقَ الشبهاتِ وغيْرَ قابلٍ للفساد أيْ أنْ يكونَ متصفًا بالكمال في العدل والصدق.

كذلك لا يَصِحُّ أنْ يرتكبَ القاضي أيَّةَ أخطاءٍ في إصدار الأحكام نتيجةَ عدَمِ علْمِهِ بالوقائع والأحداث وما تخفي الصدور، فقد يكونُ القاضي عادلًا لكنَّهُ غيْرُ محيطٍ بجميع جوانب القضيَّةِ أوْ المسألةِ التي يقضي فيها فيقَعُ الظُّلْمُ، لهذا لابُدَّ لهذا القاضي أنْ يكونَ كاملًا في العلْمِ ومحيطًا بشكْلٍ مطلق.

---

[٤٤] ص ٢١.

فإذا توافرتْ في القاضي الأُخرويُّ صفاتُ العدْلِ المُطْلَقِ والعلْمِ المحيطِ وأصْدَرَ الأحكامَ العادلة، قد لا يَقَعُ العدْلُ لأجْلِ عجْزِهِ عن تنفيذها، فلابُدَّ لهذا القاضي أنْ يكونَ مطلقَ القُدْرَةِ أمرُهُ نافذٌ ولا تحُدُّهُ حدودٌ ولا تعوقُهُ معوقات.

فخلاصةُ هذا الدَّليلِ أنَّهُ يثبتُ وجودَ الله الحكمِ الديّانِ واتّصافِهِ بصفاتِ الكمال في العدْلِ والعلْمِ والقُدْرَةِ ويثبتُ وجودَ الحياة الآخرة، كلُّ هذا انطلاقًا من الفطرة الأخلاقية الموجودة في الإنسان التي تقضي بضرورة وجود حياةٍ أخرى تتحققُ فيها العدالةُ الكاملة.

- دليل الافتقار الاضطراري:

وهذا الاسْمُ اقترحه (د. خالد بن منصور الدريس) في إحدى محاضراته عن تهافُت الفكْرِ الإلحادي،[٤٥] وهو دليلٌ مشهورٌ ومعروف، وهو لجوءُ المرْءِ عنْدَ المحن والأزمات والابتلاءات إلى الفطرة السليمةِ التي هي مضطرَّةٌ بطبعِها إلى الإقرارِ بوجود الرَّبّ الخالق، وذلك لما تحْتاجُ إليه النفوسُ السليمةُ من لجوئها إلى قُوَّةٍ عُلْيا تستنْقِذُ بها عنْدَ حلولِ المصائب أيًّا كانتْ هذه النفوسُ مؤمنةٌ أو كافرة. فإنَّ النفْسَ البشريَّةَ مضطرةٌ عند حلول المصائب بها إلى الركون إلى تلك القوة العليا التي تتوجه إليها بالدعاء والاستغاثة بكشف الضُّرّ كما يقول تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.[٤٦] ولقد لفتَ القرآنُ أنظارَنا إلى هذا الاعترافِ الفطريِّ حيْثُ قال في صيغة الاستفهام التقريري ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾.[٤٧]

---

[٤٥] يوتيوب: الجزء الثالث من دورة أ.د. خالد بن منصور الدريس ضمن فعاليات برنامج تهافت الفكر الإلحادي https://www.youtube.com/watch?v=8K1WrixxHh8.

[٤٦] سورة العنكبوت: ٦٥.

[٤٧] سورة النمل: ٦٢.

والنفوسُ بطبْعِها أسْبقُ إلى الاعتراف بالرَّب الخالقِ منها إلى الاعتراف بالإلهِ المعبود، وذلك لعلم النفوسِ بحاجتها وافتقارها إلى من يحميها وتلوذُ إليه عند نزول المصائب قبل علمهم بحاجتهم إلى الإله المعبود الذي تتوجه إليه بالعبادة دون غيره.

وهذه المعرفةُ الفطريةُ طبيعةٌ مركوزةٌ في كُلّ نفْسٍ مؤمنةٍ وكافرة، والنفوس تحسُّها بطبْعِها وتشْعُرُ بها وإنْ غابتْ عنها في بعض الأحيان لسببٍ طارئٍ فسرعان ما تَجِدُ نفسَها مضطرةً إلى اللجوء إليها عند الشدائد. ولو لمْ تكُنْ النفوسُ مفطورةً على هذه المعرفة لما تطلعت إليها بلْ لمْ تكُنْ مطلوبةً لها في الأصل.

الأدلة العقلية على وجود الله

وهذه الأدلُّةُ في الحقيقةِ لا تنْفَصِلُ كثيرًا عن حقيقة الفطرة لأنَّها في حقيقة الأمْرِ مستمدةٌ من أولياتٍ عقليَّةٍ فطريَّةٍ مثل السببيَّةِ وعدَمِ التناقض. وهي تنْقسمُ في دلالتها إلى قسمين: أدلَّةٌ مستمدةٌ من دلالة الخلق والاختراع وتدُلُّ على وجود الخالق أو الصانع، وأدلَّةٌ مستمدّةٌ من دلالة العلَّةِ الغائية وتدُلُّ على صفات الخالق من علْمٍ وحكْمَةٍ ورحمَةٍ وبالتالي وجودُهُ من باب أولى.

لكنْ قد ينْشَأُ اعتراضٌ في هذا المقام: إذا كانتْ معرفةُ الله فطريَّةً فما الدَّاعي إلى اسْتِعْمالِ العقْلِ والنَّظَرِ في الدلالة عليه تبارك وتعالى؟

والجوابُ أنَّ البراهينَ العقليَّةَ تقَعُ في المرْتَبَةِ الثانيةِ بعْدَ الفطرة وسببُ الاحتياجِ إليها هو وقوعُ فسادٍ للفطرة أو تشوُّشِها مما يستدعي الحاجةَ إلى نوعيَّةٍ أخرى من الأدلة، وقد وقعَ المتكلمون في العقائد في أخطاءٍ كبيرةٍ عندما زعموا أنَّهُ لا دليلَ على وجود الله إلَّا البرهانَ العقليَّ حصريًّا بلْ ربما حصروهُ في دليلٍ

واحد، ثُمَّ أوردوا على هذا الدليل من الإيرادات والإشكالات ما يضعفُهُ وينزلُ بمرتبته في تأسيس اليقين.

يقول شيخ الإسلام (ابن تيمية): "المعرفةُ وإنْ كانتْ ضروريّةً في حقِّ أهْلِ الفِطْرة السليمة فكثيرٌ من الناس يحتاجُ فيها إلى النَّظر والإنسانُ قد يستغني عنْهُ في حالٍ ويحتاجُ إليه في حال".[٤٨] لهذا نحنُ عنْدما نسوقُ الأدلةَ العقليَّةَ على وجود الله فنحنُ لا نَفْعَلُ ذلك اعتقادًا منّا بأنَّها المسلكُ الأفضلُ –فضلًا عن أنْ يكونَ الوحيد– بلْ لأنَّهُ يناسبُ نوعيَّةً معينَةً من الناس ومن أمثلة هذه النوعية: الشابُ الذي يأتيهِ الملاحدةُ بإشكالات واعتراضات على مسألة وجود الله وهو ينْكِرُ كلامَهُم بقلبِهِ وفطرتهِ؛ لكنَّهُ لا يستطيعُ الإجابةَ عن اعتراضاتهم بالعقْلِ وتزدادُ المسألةُ سوءًا عندما يُعيِّرُهُ الملاحدةُ بأنَّهُ مؤمنٌ إيمانًا قلبيًّا أعمى دون سنَدٍ أو برهان من العقل فيحتاجُ لمن يسردُ له البراهين العقليَّةَ على وجود الله وكيف يردُّ العقْلُ على كل الإشكالات والاعتراضات في هذه المسألة حتى يثبتَ قلْبُهُ على الإيمان ويكون على بصيرة.

كذلك يكونُ من المناسب إبرازُ دلالة العقل والبراهين العقلية على وجود الله عند مراغمةِ الملحدين ومناظرتهم وإفحامهم بالمنطق والمعقول ودلالات العقول والرَّدِّ على شبهاتهم وإيراداتهم بما لا يستطيعونَ الصمودَ أمامَهُ أو مجاراته، فهذا مجالٌ نحتاجُ فيه إلى إتقان البراهين العقلية وسبلها ومسالكها.

أما المسْلَكُ الأسوأُ فهو إنكارُ دلالةِ الفطْرَةِ والاقتصارُ على الدليلِ العقلي والزَّعْمِ بأنَّهُ وحدَهُ لا شريك لهُ وكذلك ما يقَعُ فيه بعضُ أهل العلم من إنكار الحاجة للدليلِ العقليِّ والاقتصارِ على الفطرة فقط رغْمَ أنَّ لكلِّ مقامٍ مقال.

---

[٤٨] ابن تيمية، "درء تعارض العقل والنقل"، ج٣، ص٣٠٤.

القسم الأول: دلالة الخلق والاختراع

وهو القسمُ الأوَّلُ من دلالة المخلوقات على الخالق بطريق العقْلِ أوْ النَّظرِ العقلي، والمقصودُ به أنَّ وجودَ المخلوقات –ذواتًا كانتْ أوْ صفاتٍ– يدُلُّ على وجود خالقها بغضِّ النَّظَرِ عن الغرض أوْ الغاية منها، مجرَّدُ وجودها يدُلُّ على افتقارها لمن يوجدِها طالما أنَّها لا يمْكِنُ أنْ توجدَ بنفسِها من غير موجد. ويعتمدُ تصنيفُ الأدلَّةِ الواقعةِ تحتَ هذا القسم على تقسيم المخلوقات إلى ذواتٍ وصفاتٍ ثم تقسيمُها حسب وجْهِ الافتقار أوْ الاحتياج إلى الموجد أو الخالق أو الصانع أو المحدِث أو المرجح، وهي أربعةُ أدلة: (حدوث الذوات، إمكان الذوات، حدوث الصفات، إمكان الصفات).

- دليل حدوث أو إمكان أو افتقار الذوات:

وهو دليلٌ يهْدِفُ إلى نتيجة واحدةٍ لكنْ تعددتْ صياغاتُهُ ومسالكُه، فدليلُ حدوث الذوات يقرِّرُ أنَّ كلَّ ما في العالم عبارةٌ عن حوادث ومتغيرات وأشياء كانتْ بعْدَ أنْ لمْ تكُنْ، وهذه حقيقةٌ حسيَّةٌ مباشرة، وأنَّ كلَّ حادِثٍ لابُدَّ له من محدثٍ وكلُّ فعْلٍ لابُدَّ لهُ من فاعلٍ وكلُّ أثرٍ لابد له من مؤثر، وهذه قاعدة عقلية فطرية بديهية، وبالجمع بين هاتين المقدمتين نستنتج أنَّ لهذا العالم خالق وبارئ أوجده وأحدثه بعد أنْ لم يكُنْ موجودا.

وهذا الخالقُ البارئُ ليس من هذا العالم بلْ هو خارجٌ عنْهُ ومتعالٍ عليه والدليلُ على هذا أنَّ هذا العالمَ فيه حوادثُ كانت بعد أنْ لم توجَدْ وكانت بعد أنْ لمْ تكُنْ وما كان جُزْؤُهُ حادثًا فكلُّهُ حادثٌ[٤٩] لأنَّ الكلَّ يعتمدُ على أجزائه التي يتركب

---

[٤٩] هذا التعبير –ما كان جزؤه حادثًا فهو حادث– أسلم من الناحية العقلية مما وقع فيه المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة في تقرير هذا الدليل عندما صاغوه بتعبير (ما كان محلاً للحوادث فهو حادث)، وهو الذي أدى بهم في

منها، فإذا كانت أجزاء العالم –أو على الأقل الأجزاء المشاهدة لنا– حادثةً فهذا يعني أنَّ العالمَ كلَّهُ حادثٌ وكوْنِهِ حادثًا فهو يحتاج إلى محدث. كذلك كوْنِ العالم يتركب من أجزاء يعني احتياجه إلى من يركبه ويقيمه بالضرورة ولا يجوز في العقل أنْ يتركبَ ويقومَ بنفسه.

أما دليلُ إمكان الذوات فيقرِّرُ أنَّ كلّ ما نشاهدُهُ في هذا العالم يجوزُ في العقل وجودُهُ وعدمُهُ، فهو إمّا انْ يكونَ موجودًا أوْ يكونَ معدومًا أيْ أنَّهُ ممْكِنُ الوجود وليس بواجبٍ وما كان كذلك فالوجودُ والعدمُ له سيان، يقول شيخ الإسلام (ابن تيمية): "ثمَّ من المعلوم أنَّ بعضَ أجزاءِ العالم يُشاهدُ عدَمَهُ بعْدَ الوجود ووجودَهُ بعد العدمِ كصور الحيوان والنبات والمعدن وأنواع من الأعراض، وهذا معلوم بالحسِّ أنَّهُ ليس واجبَ الوجود بلْ هو مُمْكنُ الوجود لقبوله العدم. وما كان واجبَ الوجود لذاته لا يقْبَلُ العدمَ إذ لو قبِلَ العدمَ لكان ممكنَ الوجود وممكنَ العدم وهذا ليس بواجب الوجود بذاته. وإذا كانت الأجزاءُ التي شوهد عدمُها يمتنعُ اتصافُها بوجوب الوجود لم يمكنْ أنْ يقال: "إنَّ الكلّ واجبُ الوجود".[٥٠] وبالتالي فهذا الذي نشاهده في العالم ممكنُ الوجود وممكنُ العدم يحتاجُ إلى مرجّحٍ يرجِّحُ وجودَهُ على عدمه لأنَّ الترجيحَ بدون مرجِّحٍ محالٌ أوْ بتعبيرٍ بعض العلماء التجريبيين: لماذا يوجدُ شيءٌ بدلًا من لا شيء؟ وهذا المرجح هو سببُ وجود العالم وما فيه وهو خالقُهُ وبارئُهُ ومنشؤه.

نهاية المطاف العقلي إلى كثير من البدع العقدية مثل خلق القرآن والكلام النفسي وإنكار صفات أو أفعال الله عز وجل.

[٥٠] ابن تيمية، "بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة"، ج١، ص٤٣٠.

اما دليلُ افتقار الذوات فهو كدليل الإمكان لكنَّهُ لا ينطلقُ من مسألة الترجيح بين الوجود والعدم، بلْ يرى أنَّ موجوداتِ العالم لا توجدُ من نفسها ولا يمْكِنُها إيجادُ نفسها بنفسها، بل هي مفتقرةٌ إلى من يوجدها ويمنحها الوجود وهذا الموجدُ لا يحتاج في وجوده إلى غيره بلْ هو مستغنٍ عن غيره لأنَّ وجودَهُ واجبٌ وضروريٌّ بخلاف وجود سائر الموجودات التي يتوقف وجودها عليه. وهذه الصياغةُ هي الأقربُ لقول الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾،[٥١] وهي حجَّةٌ عقليةٌ بطريقةِ التقسيم والسبر، حيْثُ يقسم احتمالات إيجاد العالم إلى ثلاثة: موجود بلا خالق، خلقَ نفسَهُ بنفسه، خلقَهُ خالق، ثم يسبر ويفحص ويتحرى هذه الاحتمالات. فالاحتمال الأوَّلُ باطلٌ نظرًا لافتقار واحتياج العالم إلى موجد يوجده، والثاني باطلٌ لأنَّهُ يستلزم أنْ يكونَ العالمُ موجودًا قبل أنْ يوجدَ ليوجد نفسه وهذا محالٌ عقلًا فلا يبقى إلَّا الاحتمال الأخير وهو ضرورةُ وجود خالق لهذا العالم. وهذه طريقة عقلية قرآنية سديدة ومحكمة.

يقول شيخ الإسلام (ابن تيمية): "كلُّ واحدٍ من الحدوث والإمكان دليلٌ على الافتقار إلى الصانع وإن كانا متلازمين، وكوْنِ الممكنِ والمحدث مفتقرًا إلى الفاعل هو من لوازم حقيقته، لا يحتاجُ أنْ يعلل بعلة جعلته مفتقرًا بلْ الفقر لازم لذاته. فكل ما سوى الله فقيرٌ إليه دائمًا لا يستغني عنه طرْفَةَ عين وهذا من معاني اسم الصمد، فالصمد: الذي يحتاجُ إليه كلُّ شيءٍ وهو مستغنٍ عن كل شيء، وكما انَّ غِنَى الربِّ ثبت له لنفسه لا لعلة جعلتهُ غنيًا فكذلك فقْرُ المخلوقات وحاجتها إليه ثبت لذواتها لا لعلة جعلتها مفتقرة إليه".[٥٢]

---

[٥١] سورة الطور: الآية ٣٥.

[٥٢] ابن تيمية، "الرد على المنطقيين"، ص٣٤٦.

فخلاصة هذا الدليلِ بمسالكِهِ المتعددة (الحدوث والإمكان والافتقار) أنَّهُ يثبت وجود موجد أو خالق أو بارئ لهذا العالم واتصافه بوجوب الوجود؛ لكنْ يعيبُهُ أنَّهُ لا يثبت له سائر صفات الكمال الواجبة له غير أنَّ هذا يمْكِنُ بلوغُهُ عن طريق النظر في خصائص المخلوقات التي تدُلُّ على صفات الخالق مثل العلم والحكمة والقدرة والعدل والرحمة وغيرها.

ـ دليل إمكان الصفات:

ويسمى أيضًا دليلُ التخصيص وهو اختصاصُ كلِّ كائنٍ بصفاته التي هو عليها دون غيرها مثل اتصاف الإلكترونات بالشحنة السالبة والبروتونات بالشحنة الموجبة رغْم أنَّ العكْسَ ممكن؛ لكن هناك من خصّ كل كائن بصفاته هذه دون غيرها دون سببٍ ذاتيٍّ في الكائن نفسه. ويعتمد هذا الدليلُ على أنَّهُ يجوز عقلًا أنْ يكونَ كلُّ جزء من العالم على خلاف صورته وصفته وحاله التي هو عليها الآن، فكوْنِهِ على هذه الصورة التي هو عليها الآن يحتاج إلى مخصص يخصصها بالوجود دون غيرها من الصفات والأحوال الممكنة.

فمثلًا الأكسجينُ عبارة عن غاز في درجة الحرارة العادية وكذلك الهيدروجين، فلمَ هما على هذه الصفة دون سواها؟ لماذا يغلي الماءُ مثلًا عند درجة ١٠٠ مئوية عند مستوى سطح البحر؟ لابُدَّ من وجود من منح كلَّ شيء صفاتِهِ هذه خصوصًا أنَّهُ لا يوجدُ سببٌ ذاتي في الشيء نفسه يجعله متصفًا بهذه الصفة دون سواها. أو كما يقول بعض العلماء التجريبيين: لماذا خرج العالم على هذه الصفة دون غيرها؟ ولماذا هذه القوانين الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية دون غيرها؟

وقد جاءت الآياتُ القرآنيةُ بالدلالة على أنَّ الأشياءَ قد خُلقتْ على صفة وهيئةٍ مخصوصةٍ وأنَّ في الإمكان خلْقُها على صفاتٍ وهيئاتٍ مختلفةٍ تمامًا عمّا هي

عليه كما في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾،(٥٣) وقوله تعالى ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾،(٥٤) وقوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾،(٥٥) وقوله تعالى عن خلق الإنسان ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾.(٥٦) فهذه وغيرها من الآيات المشابهة تفيدُ كوْن صفات الأشياء متعلقةً بإرادة خالقها وعلمه وحكمته وأنَّهُ لو أراد غيرها لفعل.

- الخواص الانبثاقية Emergent Properties:

وهي نشوءُ صفات جديدة للمركبات الجديدة لمْ تكُنْ موجودةً في مكوناتها الأولية،(٥٧) وأبرز مثال لها الماء فهو سائل في درجة الحرارة العادية وله القدرة

---

(٥٣) سورة الفرقان: ٤٥.

(٥٤) سورة الواقعة: ٦٠-٧٠.

(٥٥) سورة القصص: ٧١-٧٢.

(٥٦) سورة الانفطار: ٨.

(57) Stanford Encyclopedia of Philosophy, "Emergent Properties ", First published Tue Sep 24, 2002; substantive revision Tue Feb 28, 2012. http://plato.stanford.edu/entries/properties-emergent/

على إطفاء النار؛ بينما مكوناته الأكسجين والهيدروجين غازان أحدهما يشتعلُ والآخرُ يساعدُ على الاشتعال وتأجيج النيران. فاختصاصُ الماء بصفة السيولة وإطفاء النيران خاصيةٌ انبثاقيَّةٌ نشأت دون وجود مسوغ أو تفسير لها في المكونات الأولية لجزيء الماء من أكسجين وهيدروجين. وَقِسْ على هذا عشرات الألوف من التفاعلات الكيميائية والبيولوجية التي تُنتجُ لنا مركباتٍ ذاتَ صفاتٍ غير مسبوقةٍ في مكوناتها الأصلية.

ومن الخواصّ الانبثاقيةِ البارزة كذلك صفاتُ الوعْيِ والإدراك والإرادة في الكائن الحيّ لاسيما الإنسان، والتي لا يمْكِنُ تفسيرُها بأنَّها نتاجُ التفاعلات الكيميائية والعصبية في المخ. وهذه الصفاتُ – خصوصًا الوعْي– تصْلحُ أنْ تكونَ دليلًا مستقلًا على وجود الله، فإنَّ مجرَّدَ إدراك الإنسان لذاته وأنَّ له ذاتًا مختلفةً عن ذوات الآخرين أمرٌ لا يمكنُ تفسيرُهُ بأنَّهُ نتاجُ العمليات الكهروكيميائية والعصبية في المخ، فهذا الوعْيُ مشكلةٌ عويصةٌ لمنكري الخلق حتى أنَّهم يعتبرونها معضلةً صعبة.[٥٨] ويثير (د.هيثم طلعت) بُعْدًا آخرَ لهذه المسألة بخصوص وجود الحياة في الكائن الحيّ وأنَّها في الحقيقة أمرٌ يتجاوز التفاعلات الكيميائية والبيولوجية داخل الكائن، ويضرب مثالًا بخليَّة الباكتيريا التي عندما تكون بجوار ذرة من النشا فإنَّها تتحرَّكُ وتقتربُ منها مما يعني أنَّها تَعِي وجودَها، فهذا لا يكونُ إلَّا مع كائنٍ حيٍّ واعٍ تتجاوز أفعالُهُ مسألةَ التفاعلات الكيميائية الحيوية العشوائية العمياء مهْما بلغَ تعقيدُها.[٥٩] فهذه كلُّها أمثلة لخواص انبثاقية

---

[٥٨] يوتيوب: معضلة الوعي الصعبة – حمزة تزورتزس.
https://www.youtube.com/watch?v=jYBc8zLAGwQ
[٥٩] يوتيوب: ٠٧ الوعي Consciousness – برنامج وهم الإلحاد د/ هيثم طلعت
.https://www.youtube.com/watch?v=3UMBFkJnR2k

في الكائن الحي ليستْ موجودةً في أجزائه ولا يمْكنُ توقُّعُها قبْل اجتماع كل هذه الأجزاء مما يدُلُّ على أنَّ هناك منْ منَحَ الكائن هذه الخاصية وأكسبها إياه وأنَّها ليْستْ نتاجًا طبيعيًّا لاجتماع ذراته أو جزيئاته أو وحداته البنائية أيًّا كانت.

وبالجملة فإنَّ صفات الأشياء وخصائصها قد تكونُ على وجه ما أوْ وجْهٍ آخر او وجْهٍ ثالثٍ أوْ رابع إلخ؛ لكنَّ اختصاصَها بوجه دون ما عداه -دون وجود مسوغ لهذا الاختصاص في الشيء نفسه- يَدُلُّ على وجود مخصصٍ خارجيٍّ خصّها بهذه الصفة أوْ مرجِّحٍ خارجيٍّ رجَّحَ هذه الصفة على ما عداها من الصفات الممكنة.

- دليل حدوث الصفات:

وهو الاستدلالُ بحدوث الصفات للذوات على وجود الله مثلَ صيرورة النطفة إنسانًا والبذرة زرعًا والنواة نخلة. فإذا كانتْ تلك الصفاتُ المتجددةُ على المرْءِ أعراضًا حادثةً وهو غيْرُ قادرٍ عليها فلابُدَّ لها من فاعل آخر غير المرء نفسه.

ينقل ابن تيمية عن (أبي الحَسن الأشعري) قوله: "إنْ سأل سائلٌ: ما الدليلُ على إنَّ للخلق صانعًا صنعَهُ ومدبرًا دبره؟

قيل: الدليلُ على ذلك: أنَّ الإنسانَ الذي هو في غاية الكمال والتمام كانَ نطفةً ثم علقةً ثم مضغةً ثم لحمًا ودمًا، وقد علمنا أنَّهُ لم ينقلْ نفْسَهُ من حال إلى حال لأنَّا نراهُ في حال كمال قوته وتمام عقله لا يقدر أنْ يحدثَ لنفسه سمعًا ولا بصرًا ولا أنْ يخلقَ لنفسه جارحة.

فدلَّ ذلك على أنَّهُ قبل تكامله واجتماع قوته وعقله كانَ عن ذلك أعجز لأنَّ ما عجز عنه في حال الكمال فهو في حال النقصان عنه أعْجَزُ ورأيناه طفلًا ثم شابًّا ثم كهلًا ثم شيخًا، وقد علمنا أنَّهُ لم ينقل نفسه من حال الشباب إلى حال

الكبر والهرم لأنَّ الإنسانَ لو جهد أنْ يزيلَ عن نفسه الكبر والهرم ويردها إلى حال الشباب لم يمْكِنهُ ذلك.

فدل ما وصفناه على أنَّه ليس هو الذي نقل نفسه في هذه الأحوال وأنَّ له ناقلًا نقلَهُ من حال إلى حالٍ ودبرَهُ على ما هو عليه لأنَّهُ لا يجوزُ انتقاله من حال إلى حال بغير ناقلٍ ولا مدبر.

ومما يبين ذلك أيضًا أنَّ القطن لا يجوزُ أنْ يتحول غزْلًا مفتولًا ولا ثوْبًا منسوجًا بغير صانعٍ ولا ناسجٍ ومن اتخذ قطنا فانتظر أنْ يصيرَ غزْلًا مفتولا ثم ثوبا منسوجا بغير صانع ولا ناسج كان عن المعقول خارجًا وفي الجهل والجا.

وكذلك من قصد إلى بريّةٍ لم يجدْ فيها قصْرًا مبنيا فانتظر أنْ يتحولَ الطينُ إلى حالِ الآجُرّ وينتضد بعضه إلى بعض بغير صانع ولا بانٍ كان جاهلا. فإذا كان تحوُّلُ النطفةِ علقةً ثم مضغةً ثُمَّ لحمًا ثم عظمًا ودمًا أعظمَ في الأعجوبة كان أوْلى أنْ يدل على صانعٍ صنعها أغْنى النطفة ونقلها من حالٍ إلى حال.

وقد قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ [٦٠]، فما استطاعوا بحجة أنْ يقولوا: إنَّهم يخلقون ما يمنون مع تمنيهم الولد فلا يكون ومع كراهتهم له فيكون وقال تنبيها لخلقه على وحدانيته ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٦١] فبين لهم عجْزَهُم وفقْرَهُم إلى صانعِ صنعهم ومدبر دبرهم ".[٦٢]

وعلى هذا النحو من الاستدلال جرَى استدلالُ الأنبياء عليهم السلام أمامَ ملاحدة عصورهم، كما كان لإبراهيم عليه السلام مع النمْرود فيما أخبر الله تعالى

---

[٦٠] سورة الواقعة: ٥٨-٥٩.

[٦١] سورة الذاريات: ٢١.

[٦٢] ابن تيمية، درء تعارض العقل و النقل، ج٨، ص٢٧.

عنه بقوله ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾،[٦٣] وقوله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾[٦٤] ايْ أنَّ الدليلَ على وجود الله هو حدوث صفة الحياة للأموات وحدوث صفة الموت للأحياء فلما كابر النَّمْرودُ وزعَمَ أنَّهُ يحي ويميت لم يسلِّم له إبراهيم ولم ينْتَقِلْ إلى حجة أخرى بلْ تابع بنفس الحجة – وهي حدوث صفات الأشياء وتغير أحوالها– حتى أفْحَمَ خصمَهُ فكأنَّهُ يقول: إنْ كنْتَ صادقًا في زعمك أنَّكَ تحي وتميت فالذي يحي ويميت هو نفسه الذي يأتي بالشمس من المشرق فأْتِ بها أنْتَ من المغرب لتثبت دعواك ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾.[٦٥]

وكذلك سائرُ الآيات التي تذْكُرُ حدوثَ صفات المخلوقات، فكلُّها تشير إلى هذه الدلالة مثل قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ • يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[٦٦] والأمثلة من هذا الضرب كثيرةٌ جدا.

القسم الثاني: دلالة العلة الغائية

وهو القسمُ الثاني من دلالة المخلوقات على خالقها ويقومُ على إدراك الغاية من المخلوق أوْ موافقةِ تكوينِهِ وتركيبِهِ لوظيفتِهِ التي يقومُ بها، فهو –بخلاف القسم الأول– لا يعْتَمِدُ على مجرد وجود المخلوق أوْ الصفة المخلوقة بلْ يعتمدُ

---

[٦٣] سورة البقرة: ٢٥٨.

[٦٤] نفس الآية.

[٦٥] نفس الآية.

[٦٦] سورة النور: ٤٢–٤٣.

على وجود غايةٍ وهدفٍ وغرضٍ لهذا المخلوق تظهر في شكْلِهِ وتركيبِهِ وتكوينِهِ وصفاته. لهذا تتميّزُ هذه الدلالةُ بأنَّها لا تَدُلُّ فقطْ على وجود الخالق بلْ تدلُّ على اتّصافه بالعلم والقدرة والحكمة والخبرة والرحمة واللطف وغيرها من صفات الكمال، وتندرج تحتها أصنافٌ عديدةٌ من الأدلة مثل النظام والمعلومات والعناية الإلهية والضبط الدقيق والتعقيد غير القابل للاختزال.

ـ دليل النظام:

ويُسَمِّيهِ علماءُ الغرْبِ دليلَ (التصميم الذكي Intelligent Design)؛ لكنْ نحنُ لدينا تحفظاتٌ عقديَّةٌ على المصطلح الغربي. والمقصود به وقوعُ النظامِ في هيئة الكوْن وفي تركيب الكائنات الحية وعدم إمكانية أنْ يكونَ نتاجًا للفوضى والعشوائية. فمثلًا لكي يتكونَ نظامٌ أوْ جهازٌ أوْ بناءٌ معقدٌ لابُدَّ من وجود المتطلبات الآتية:

١) التَّوَفُّرُ والإتاحةُ لأجزاء هذا النظام: أيْ أنْ تكونَ الأجزاء التي سيتكون منها النظامُ موجودةً، فلكي يتكوَّنَ قصْرٌ مثلًا لابُدَّ من وجود مواد البناء من الرمل والأسمنت والحديد المسلح والطوب الأحمر وغيرها.

٢) الوقت المناسب: أيْ أنْ تكونَ موادُّ البناء موجودةً في نفسِ الوقت حتى يتم البناء، فلا يصحُّ أنْ ناتي بالأسمنت في يوم والرمل في يومٍ آخر أوْ في شهْرٍ أو عامٍ آخر بلْ لابُدَّ من توفُّرِ مواد البناء جميعًا في وقت واحد .

٣) المكان المناسب: أيْ أنْ توجدَ مواد البناء في نفس المكان، فلا يصح أنْ يوجدَ الطوبُ الأحمرُ في بلدة والرمل في بلدةٍ أخرى والأسمنت في بلدة ثالثة وهكذا. بلْ لابد من توافر جميع مواد البناء في نفس المكان.

٤) عدم وجود تداخلات أو تفاعلات متداخلة: أيْ أنَّ وقوعَ أيِّ تدخُّلٍ غيْرِ مطلوبٍ سوف يُفْسِدُ النظامَ كلَّه، فمثلًا تداخل البلاستيك وتراب الأرض مع مواد البناء سوف يؤدي إلى خراب البناء المطلوب وعدم صلاحيته.

٥) التوافق البيني: عنْدَ التَّعشيقِ والتركيب مثل المفتاح في الباب أو مثل تروس الآلة. وهذا يظهرُ في تناسق الطوب الأحمر مثلًا عند تراصِّهِ في الجدار أوْ في توافُقِ مقاساتِ الأبوابِ والشبابيكِ مع الفتحاتِ المصنوعةِ في الجدرانِ أوْ في توافُقِ البروتينات داخل الخليَّةِ وغيْرِها من الأمثلة.

٦) ترتيبُ البناء: لابُدَّ من اتِّباعِ الخطوات والترتيب الصحيح، ففي البناء يتمُّ أولًا الحفرُ ثُمَّ وضْعُ الأساسات والقواعدِ ثُمَّ رفْعُ البناء من أسْفلٍ إلى أعْلَى بالتَّرْتيب وهكذا وإلَّا انْهار البناءُ كلُّه.

٧) التهيئةُ للوظيفة: أنْ يكونَ الناتجُ النهائيُّ قائمًا بالوظيفة فمثلًا قدْ يمْكنُنا تكْوينُ الساعةِ بدقائقها وتروسها الدقيقةِ المعقَّدَةِ المركبة؛ لكنْ لابُدَّ أنْ تدورَ الساعةُ بعْدَ كلِّ هذا وأنْ تعملَ وأنْ تُشيرَ إلى الوقْتِ بالضبط. كذلك الخليَّةُ قد تتكوَّنُ مركباتُها العضويَّةُ والحيويَّةُ في المعْمل؛ لكنْ لابُدَّ انْ تدبَّ فيها الحياةُ لكيْ تعْمَلَ وتقومَ بالوظائفِ الحيوية.

فيظْهرُ مِنْ كُلِّ ما سَبَقَ أنَّهُ لا يُمْكِنُ أنْ يوجدَ نِظامٌ إلَّا في ضوْءِ المتطلباتِ السابقة وكُل واحدٍ منْها يستلْزمُ فعْلًا إراديًّا غائيًّا يتضمَّنُ التوْجيهَ والضبْطَ والتخْطِيطَ المُسْبَقَ وهذا لا يُمْكِنُ أنْ يكونَ عن طريق الصُّدْفَةِ والعشوائيَّةِ مطْلقا. فبناءُ نظامِ العالمِ من المجرَّةِ حتى الذَّرَّةِ مرورًا بخلْق الكائنات الحيَّةِ يستلْزمُ المُرورَ بكُلِّ الخطوات السابقة بما فيها من علمٍ وقُدْرة وحكمة وغائية وتوجيه وتقدير، وهذا لا يمكن أبدًا إلَّا عن طريقِ فاعلٍ يتصف بكل هذه الصفات، وهو الله العليمُ الحكيمُ الخبيرُ القدير.

ـ دليل المعلومات الحيوية:

وهو يتجاوزُ مجرَّدَ الاستدلالِ بوقوع التنْظيم إلى النظر في مصْدر المعلوماتِ الموجودة على الشريط الوراثي، حيْثُ إنَّ الشَّريط الوراثيَّ(DNA) يمثِّلُ شفرةً

معلوماتيَّةً أشْبَهَ ببرنامج الكمبيوتر ويتمُّ ترجمتُها عن طريق الخليَّة إلى البروتينات ذاتِ الوظائف المخْتلفَةِ داخلِ الخلية الحية. وهذه الشفرةُ المعلوماتيَّةُ تدْفَعُنا دوْمًا للسؤال المهم: من أين جاءتْ المعلومات؟ من الذي كتبَ برنامج الخليَّةِ بهذه اللغةِ الفريدة؟

في القرن الحادي والعشرين صارتْ (المعلوماتُ الحيويَّةُ Biological Information) هي الشُّغْلُ الشَّاغِلُ لعلماء البيولوجيا. عندما اكْتَشَفَ (جريجور مندل Gregor Mendel) في القرن التاسع عشر أنَّ بعْضَ الخصائصِ الحيويَّةِ تنْتَقِلُ من جِيلٍ إلى جيلٍ في صورَةِ عُبُوَّاتٍ دقيقةٍ منفصلةٍ من المعلومات – الجينات– رُبَّما كانَ لديْهِ وقْتَها فكرةٌ باهِتَةٌ عنْ طبيعة المعلومات الحيوية. نحْنُ الآنَ اكْتَشَفْنا أنَّ هذه الجيناتِ هي في الحقِيقَةِ تعليماتٌ دقيقةٌ ومحددةٌ وغايةٌ في التَّعْقيدِ ومُشفَّرَةٌ لغويًّا بحيْثُ إنَّ كُلَّ جينٍ يكادُ يكونُ كالكتاب في تعقيده وخصائصه المتطورة.

عندما أُكْتُشِفَ الشَّريطُ الوراثيُّ(DNA) ظَهَرَ أنَّ المعلوماتِ الجينيَّةَ أشْبَهُ ما تكونُ بالمعلوماتِ التي يكْتُبُها الإنسان، فلَها شَفْرةٌ لغويَّةٌ وشريطٌ من الحُروفِ يمثِّلُ في النهايَةِ نصًّا لغويا. من أين جاءتْ هذه النصوصُ اللغوية؟ عنْدَ عُلَماءِ البيولوجيا الذين يتبنُّون نظريَّةَ التطوُّر فإنَّ الصُّدْفَةَ المحْضَةَ ثُمَّ التطوُّرَ الداروينيَّ يعلِّلان ظهورَ هذه النُّصوص المعلوماتيَّة وقد بذلَ هؤلاء العلماءُ جهودًا جبارةً في محاولة تفسير هذا الكمِّ المعلوماتيِّ الهائل في الشريط الوراثيِّ عن طريق الطفرات العشوائيَّةِ والانْتخابِ الطبيعي، وأغرقوا المجلاتِ العلميَّةَ بتصوراتهم وتبريراتهم وحاربوا بضراوةٍ أيَّةَ مخالفَةٍ للنموذجِ الداروينيِّ حتى أنَّهم يعتبرون من يخالفُه خائنًا للعلْمِ ذاته.

لكنَّ الحقيقةَ أنَّهُ أمامَ الزيادَةِ المطَّردةِ في الاكتشافاتِ الجينيَّةِ في المُحْتوى المعلوماتيِّ في الشّريطِ الوراثيِّ تضاءلتْ قدْرةُ النموذجِ الدارويني السائد -المبْنِيِّ على الصدفة والعشوائية- على تفسير ظهورِ هذه المعلومات خصوصًا مع دقَّتِها البالغةِ وتعقيدِها العميقِ، كما يظْهَرُ في الرسمُ البيانيُّ بأسْفَلِ حيْث نجد أن هناك انفجارًا معلوماتيًا هائلاً تم اكتشافه مؤخرًا في الشريط الوراثي يقابله انخفاض واضح في القدرة التفسيرية للنموذج الدارويني.(٦٧)

يذرِكُ العلماءُ الآنَ أنَّ المفْهُومَ التَّبْسِيطيَّ للمعلوماتِ الحيويَّةِ على الشريط الوراثيِّ -الـ(DNA) يكوّن الـ(RNA) الذي يكوّن البروتينَ الذي يؤدّي المهامَ الحيويَّةَ داخل الخليةِ- صارَ الآنَ موغِلًا في السَّذاجَةِ والسَّطْحِيَّة. فقدْ بدأَ القوْمُ مؤخَّرًا في استيعابِ أنَّ المعلوماتِ الحيويَّةَ متعددةُ الأبْعَادِ بشكْلٍ عميقٍ جدًّا وتتحَرَّكُ في جميعِ الاتجاهات مِنْ خِلالِ شبَكاتِ اتّصالاتٍ واسعَةِ النِّطاق، وأنَّ الطبقاتِ المختلفةَ للمعلوماتِ لا تتجاوَبُ فقطْ مع المحيطِ الخلوي؛ لكنَّها متداخلةٌ بقوَّةٍ مع البيئة الخارجية كذلك.(٦٨) فالخليَّةُ -في ضوْءِ الاكتشافاتِ الحديثة- عبارةٌ عَنْ شبَكَةٍ تفاعُليَّةٍ من أجْهزةِ الكمبيوتر وليْستْ مجموعةً من الكتب الصماء.(٦٩)

---

(67) John C. Sanford (2013), "Biological Information and Genetic Theory: Introductory Comments", Biological Information: pp. 203-209.

(68) Jonathan Wells (2013) "Not Junk After All: Non-Protein-Coding DNA Carries Extensive Biological Information", Biological Information: pp. 210-231.

(69) Josiah Seaman (2013) "DNA.EXE: A Sequence Comparison between the Human Genome and Computer Code", Biological Information: pp. 385-401.
Donald Johnson (2013) "Biocybernetics and Biosemiosis", Biological Information: pp. 402-413.

نحْنُ بحاجةٍ إلى هضْمِ مفْهومِ المعلوماتِ الحيويّةِ جيّدًا فلا معْنَى الآنَ للمَفْهومِ القدِيمِ -الجينوم يشفر بروتين- فالمعلوماتُ الحيويّةُ ليْسَتْ في الحقيقةِ مقصورةً على الجينوم الذي هو ليْسَ إلّا (القرْصَ الصّلْبَ Hard Drive) للخليّةِ أوْ المعلومات الثابتة المخزنة، أمّا (الذاكرةُ المؤقتةُ RAM) فهي هذهِ الغابةُ منْ أحْماضِ الـ(RNA) والبروتيناتِ التي تُشَكّلُ شبَكَةَ الاتصالات المتطورةِ داخل الخلية، هذه الشبكَةُ هي التي تعَبّرُ عن مدى الحيويةِ والنشاطِ البيولوجيِّ في الخلية. يمكنُنا الكلامُ عن الـ(RNA) والبروتينات على أنّها وحداتٌ معلوماتيّةٌ عاملةٌ فعّالةٌ تحددُ طريقةَ طيّها ونقْلِها وعمَلِها وارتباطاتِها مع غيْرِها من الجزيئات البيولوجية. أعدادٌ لا يُمْكِنُ حصْرُها من الرّسائل يتِمُّ تبادُلُها بيْنَ القُرْصِ الصّلْبِ - أيْ الجينوم الوراثي- والذاكرةِ المؤقّتَةِ -أي الـ(RNA) والبروتينات-، كذلك هناك قَدْرٌ لا نهائيٌّ منَ الرّسائل يتمُّ تبادُلُهُ بين الأجزاء المختلفة من الشريط الوراثي و مثلها بين أحماض الـ(RNA) والبروتينات المختلفة. هذه الرسائلُ المتواصلةُ التي يتم تبادلُها بين الأجزاء المختلفة للخلية تتجاوزُ قُدْرَتَنا على العدِّ والحصْرِ فهي أشْبَهُ بشبكةِ الانترنت.

فوْقَ كُلِّ هذا هناك تبادُلٌ للرّسائل والمعلومات يتمُّ بانْتظامٍ بين الخلايا المختلفة، كذلك بيْن الأنسجةِ المختلفة وبين الأعضاءِ المختلفة، وبين الأفراد بعضهم البعض. فسبحان الله أحسن الخالقين.

لعشراتِ السّنينِ ظَلّ العلماءُ يعْتَقِدُون أنّهُ لا توجَدُ إلّا شَفَرَةٌ جينيّةٌ واحدةٌ ولغةٌ واحدةٌ يتكلّمُ بها الشريطُ الوراثيُّ وهي لغةُ تشْفيرِ البروتينات، وأنّ الشريطَ الوراثيَّ في الإنسان لا يعْمَلُ منه إلّا ٢% فقطْ وأنّ الباقي مجرّدُ فضلاتٍ ليس لها قيمة (Junk DNA)؛ لكنْ في العشر سنوات الأخيرةِ صار من الواضحِ أنّ غالبيةَ هذه

(الفضلات) فعَّالةٌ وذاتُ وظائفَ حيويّةٍ(٧٠) ممَّا يعْني أنَّهُ ما زال هناك العديدُ من المعلومات التي تحْتاجُ إلى تفسير، كما يعْني أنّه هناك أكْثرَ منْ شفْرة واحدةٍ أو لُغَةٍ واحدة للشريط الوراثي (DNA) لا تقْتصِرُ فقطْ على تتابع القواعد النيتروجينية.

في الواقع فإنَّ حقيقةَ وجودِ أكْثَرِ من لغةٍ -شفرة جينية- للشريط الوراثيِّ وأنَّ هذه اللغاتِ تتداخلُ وتتضافَرُ هي أمْرٌ يخْطِفُ الألباب،(٧١) فبالإضافة إلى الشفرة الوراثية الأساسيَّةِ هناك شفراتُ (النسخ Transcription) وشفرات (تريفانوف Trifanov) وشفرات القص وشفرات طيّ ومعالجة الـ(RNA) وغيرها، وعلى مستوًى آخرِ تمامًا تعْمَلُ شفرات أخرى مهمتها معالجة الجينوم نفْسَهُ مثل شفرات (الأيزوكور Isochore) وشفرات (تموضع النيوكليوسوم Nucleosome-Positioning) وشفرات (ثلاثية الأبعاد التوبولوجية Topological 3-D) والشفرات (اللاجينية Epigenetic). وهناك كذلك العديدُ من الشفرات العاملَةِ لأداءِ وظائفَ أُخْرى كثيرة في الشريط الوراثي،(٧٢) وما زال هناك المزيدُ من الشفرات التي يتم اكتشافها يومًا بعْد يوم.

دعونا نسْأَلْ هذا السؤال: كمْ عددُ الجينات في الجينوم البشري؟ تذْكُرُ المراجعُ التقليديَّةُ أنَّها حوالي ٢٠ ألفًا؛ لكنْ في الحقيقةِ ما نسَمِّيهِ جينٌ هو مجرَّدُ تبْسيطٍ مبالَغٍ فيه (Over Simplification) لأنَّ كُلَّ جينٍ يحْوي عددًا كبيرًا من العناصر الوظيفيَّةِ الفعَّالَةِ التي تشفِّرُ العديدَ من أحْماض الـ(RNA) والبروتينات، فإذا

---

(70) Jonathan Wells, op. cit.

(71) George Montanez, Robert J. Marks II, Jorge Fernandez, and John C. Sanford (2013), "Multiple Overlapping Genetic Codes Profoundly Reduce the Probability of Beneficial Mutation", Biological Information: pp. 139-167.

(72) Jonathan Wells, op. cit.

أعَدْنا تعريفَ الجينِ لشمل كلّ عُنصرٍ من هذه العناصر، فرُبّما يبْلُغُ عدَدُ الجينات الحقيقيّ المليونَ أوْ أكثر.

في ضوْء كلّ هذه المعطياتِ فإنّ إدراكَنا لحقيقةِ المعلومات الحيوية داخل الخلية يتّسِعُ بشكلٍ جنونيّ يعْجزُ البشر عن ملاحقته. وفي المقابل تعجزُ آلياتُ نظرية التطور عن تفسير وجود كل هذه المعلومات بهذا القدْرِ البالغِ من العمق والتعقيد والتشابك والتداخل الذي لا يمكن تفسيرُهُ إطلاقًا بأنّهُ صادرٌ عن الطفرات العشوائية والانتخاب الطبيعي.(٧٣)

والخلاصةُ أنّهُ فضلًا عن حقيقةِ أنّ القوانينَ الثابتةَ في العالم قد تؤدّي فعْلًا إلى وجودِ (نظام Order انتظام Regularity)؛ لكنْ هذه القوانينَ وحسْب لا تُفسر وجودَ أنظمةٍ معقدةٍ تحْوي شفرات معلوماتية مثل الشريط الوراثي. فمنْ المُمْكِنِ فعلًا أنْ تصطفَّ الحروفُ بجوار بعضها البعض بناء على متوالية هندسية معينة؛

(73) Paul Gibson, John R. Baumgardner, Wesley H. Brewer, and John C. Sanford (2013), "Can Purifying Natural Selection Preserve Biological Information?", Biological Information: pp. 232-263.
John C. Sanford, John R. Baumgardner, and Wesley H. Brewer (2013) "Selection Threshold Severely Constrains Capture of Beneficial Mutations", Biological Information: pp. 264-297.
Wesley H. Brewer, John R. Baumgardner, and John C. Sanford (2013) "Using Numerical Simulation to Test the "Mutation-Count" Hypothesis", Biological Information: pp. 298-311.
John R. Baumgardner, Wesley H. Brewer, and John C. Sanford (2013) "Can Synergistic Epistasis Halt Mutation Accumulation? Results from Numerical Simulation", Biological Information: pp. 312-337.
Chase W. Nelson and John C. Sanford (2013) "Computational Evolution Experiments Reveal a Net Loss of Genetic Information Despite Selection", Biological Information: pp. 338-368.
Wesley H. Brewer, Franzine D. Smith, and John C. Sanford (2013) "Information Loss: Potential for Accelerating Natural Genetic Attenuation of RNA Viruses", Biological Information: pp. 369-384.

لكنْ هذه الحروف لنْ يمكنَها أنْ تضعَ لنا روايةً رومانسيَّةً أخَذَ فيها البطَلُ بمشاعر القرَّاءِ وفَعَل كيت وكيت، ولا يمْكنُ أنْ تضعَ بنفس الطريقةِ برنامجًا للكمبيوتر لتسيير سُفُنِ الفضاء وتوجيهها، كذلك لا يُمْكِنُ أنْ تخلقَ لنا شفراتٍ معقدةً تقومِ بتسييرِ مهامِ ووظائفِ الخليَّةِ بهذه الدِّقةِ والعمْقِ والتعقيد.

فالحقيقةُ أنَّ تتابعاتَ (النيوكليوتيدات Nucleotides) في الشريط الوراثي ليستْ تتابعاتٍ صماءَ إنَّما هي شفْرَةٌ معلوماتيةٌ غنيَّةٌ بالأوامر والتوجيهات والإشارات، بلْ هي لغَةٌ -أو لغاتٌ- كاملةٌ تتمُّ ترجمتُها من خلال آلياتٍ غايةٍ في الدِّقَّةِ والإحْكام إلى ما نراه في وظائف الخلية الحية. فهذه المعلوماتُ لا يمْكِنُ أنْ تخرجَ إلى الوجود بالصدفة أو بمجرد فاعلية القوانين الصماء بلْ لابُدَّ أنْ يكونَ لها خالق.

وهذا هو الفرْقُ بين انتظامِ موجاتِ البَحْرِ ورِمالِ الصَّحْراءِ وبين الشِّفْرة الوراثيَّةِ فـ(النظام Order) في الأُولى ناتِجٌ عنْ فاعليَّةِ القوانينِ الطبيعيَّةِ غيْرِ العاقلة، أمَّا تعْقيدُ الشَّفْرةِ الوراثيَّةِ فهْوَ نتيجةٌ لغزارةِ المعْلوماتِ التي تحْويها. لهذا لا تحْتوي الأمثلةُ الأولى على معلوماتٍ بيْنما تحْتوي الأمثلة الثانية -الشفراتُ الوراثيَّةُ و الكتبُ و برامجُ الكمبيوتر- على معلومات. لأجْلِ هذا السببِ لابُدَّ من أنْ يكونَ هناك خالقٌ للكائنات الحيَّةِ وأنَّها برْهانٌ جليٌّ على وجود الله وعلمه وقدرته وحكمته.

- دليل التعقيد غير القابل للاختزال:

النظامُ غيرُ القابلِ للاختزال هو نظامٌ واحدٌ مكوَّنٌ مِنْ أجزاءَ مترابطةٍ بشكْلٍ صحيحٍ تتفاعَلُ فيما بينها من أجْلِ تأدية وظيفة معينة بحيْثُ إذا نَقَصَ أوْ تلفَ جزءٌ واحدٌ فقطْ من هذه الأجزاء فكُلُّ النظام يتوقَّفُ عن العمل. فأيُّ نظامٍ ذو تعقيدٍ

غير قابل للاختزال لا يمْكِنُ أنْ يكونَ نتاجًا مباشرا لتغيرات طفيفةٍ ومتواليةٍ لنظامٍ مُعَدٍّ سلفًا لأنَّ النظامَ غيرَ القابل للاختزال الذي ينْقُصُهُ جزءٌ واحدٌ فقط لا يُعَدُّ صالحًا أصلًا للعمل.

وتظْهَرُ قُوَّةُ هذا المفهومِ في مقابل نظرية التطور لداروين التي تُفَسِّرُ نشأةَ التعقيد والتركيب البالغ في الكائنات الحيَّةِ عن طريق وقوع تغيرات صغيرة تدريجية على مدًى زمنيٍّ كبيرٍ مما يؤدي في نهاية المطاف إلى ظهور كلِّ هذا التعقيد والنظام في الكائنات الحية. وبضرب البروفيسور الملحد (ريتشارد دوكينز) مثالًا لهذا التفسير الداروينى بالجبل الشاهق المرتفع الذي لا يُمْكِنُ صعودُهُ دفْعَةً واحدةً بلْ لابُدَّ أنْ نصْعدَهُ خطوةً خطوةً وأنَّ صعودَ الجبلِ بهذه الطريقة التدريجية هو الأقْرَبُ للعقْلِ والمنطق.(٧٤) وفي هذا المقام ينْبغي أنْ نشيرَ إلى مقولة (تشارلز داروين): "إذا كان من المُمْكن إثباتُ وجودِ أيِّ عُضْوٍ معقَّدٍ لا يُرجَّح أنْ يكونَ قد تكُّون عن طريق تحولات عديدة ومتوالية وطفيفة، فسوف تنهار نظريتي انهيارًا كاملاً".(٧٥) وهذا الكلامُ سليمٌ ومنطقيٌّ تمامًا لأنَّ بناءَ النظريَّةِ كلَّهُ يقومُ على التدرُّجِ والعشوائية، فإذا ثبتَ وجودُ نظامٍ معقَّدٍ لا يمكنُ أنْ يتكونَ بالتدريج فيعني هذا عجْزَ النظريَّةِ عن التفسير وبالتالي سقوطها خصوصًا أنَّها تقدم نفسها على أنَّها تقدم تفسيرًا لكل أشكال الحياة على سطح الأرض.

في عام ١٩٩٦م قام البروفيسور الأمريكي (مايكل بيهي Michael Behe) بتأليف كتابه (صندوق داروين الأسود Darwin's Black Box) الذي وضعَ فيه أطروحَةَ التعقيدِ غيرِ القابل للاختزال (Irreducible Complexity) والتي تضْرِبُ

---

(74) Dawkins, “God Delusion”, pp. 111-112

(75) Darwin, C. (1872) “Origin of Species”, 6th ed. (1988). New York University Press, New York, p. 154

العديدَ من الأمثلة لأنظمة حيوية معقدةٍ بشكلٍ لا يقْبَلُ الاختزالَ بحيْثُ أنَّهُ لا يمْكِنُهُ القيام بأيِّ وظيفةٍ إذا فُقِدَ منْهُ جزءٌ واحدٌ فقطْ، وضربَ مثالًا تقريبيًّا لهذا بمصيدة الفئران التي تتكون من (لوح خشبي وزنبرك ورافعة وقطعة من الجبن) وأنَّ غيابَ أيِّ جزءٍ من هذه المصيدة سيؤدي إلى عدم قيامها بوظيفتها.

ثُمَّ ضرَبَ العديدَ من الأمثلة لهذا النظام غير القابل للاختزال في الكائنات الحيوية مثل السوط البكتيري وسلسلة عوامل التجلط. فهذا المفهومُ بما يتضمنُهُ من أمثلة في الكائنات الحية والأنظمة الحيوية فيها يدُلُّ على بُطْلان التفسير الدارويني المادي ويفيدُ ضرورةَ الافتقار إلى الخالق البارئ المصور المتصف بالعلم والحكمة والقدرة.

- دليل العناية الإلهية:

وهو قريبٌ من دليلِ التَّخْصيصِ أوْ إمْكان الصّفات، لكنَّهُ يبْحَثُ في اتّصاف الكائنات بما ينْفَعُها ويُصْلِحُ شئونَها في معاشها مما يدل على عناية الرب تبارك وتعالى بمخلوقاته وعلمه وحكمته في الخلق، وبالأولى يدل على وجوده. والأمثلة على هذا الدليل كثيرة بثيرة، وقد تفنن العلماءُ على مرِّ العصور في إبرازها وبيانها، فمنها ما يتعلقُ بالكوْنِ وموْضِعِ الأرض في المجموعة الشمسية من الشمس بحيث لا تكون قريبةً جدًّا ولا بعيدةً جدًّا بشكل يجعل حياتنا عسيرةً، ودوران الأرضِ حوْلَ نفسها مما يؤدّي إلى تتابع الليل والنهار وكذلك دورانُ الأرض حول الشمس وتتابع فصول العام، وكذلك فائدة الغلاف الجوي للأرض وغيرها من آيات علم الكونيات التي تحتاج إلى كتب كاملة وحلقات وثائقية بالساعات لبيان مواطن دلالتها على عناية الله بمخلوقاته.

ومنها كذلك ما يتعلق بخلق الكائنات الحية من الكائنات وحيدة الخلية مثل البكتيريا ومدى الإحكام والدقة والإتقان في تكوينها ووظائف عضيات الخلية في نقْلِ الغذاء وإنتاجِ الطاقة وبناءِ البروتينات وحراسَةِ الحدود والتفاعل الواعي مع المؤثرات الخارجية، وحتى خلْقِ الإنسان بما في جسده من أجهزة متخصصة لهضم وتمثيل الغذاء وضبط المواد الكيميائية في الدَّمِ من سكْر وكولسترول وصوديوم وبوتاسيوم وكالسيوم وغيرها، وللدفاع عن الجسم ضد الأخطار الجلية والدقيقة وإنتاج المواد الحيوية والتكاثُرِ وغيرها.

وهذا الدليلُ من الأبواب الواسعة للتفكر في خلق الله سبحانه وتعالى، وفيه آيات باهراتٌ بيناتٌ تستجلب دواعي الفطرة في النفس الإنسانية من جهة، وتمثل دلالات عقلية منطقية على وجود الله سبحانه وتعالى وعلى صفات العلم والحكمة والخبرة والقدرة اللازمة له من جهة أخرى.

- دليل الضبط الدقيق:

وهو فرعٌ عن برهان العناية الإلهية، وهو الاستدلالُ بالضبط الدقيق في مقادير وقوانين الكوْن للاستدلال على علم الله وحكمته وقدرته. يقول البروفيسور (ريتشارد موريس): "يبدو أنَّ وجودَ كوْنٍ له القدرةُ على إيواء الحياة لهُوَ في الحقيقةِ أمرٌ قليلُ الاحتمال جدا. وفيما يفترضُ فإنَّهُ ليس من سببٍ يمنع من أنَّهُ يُمْكِنُ لقوانين الفيزياء وثوابت الطبيعة أنْ تكونَ مختلفةً اختلافًا هينًا عما هي عليه. وبالمِثْلِ فإنَّ الجاذبيةَ يمْكنُ انْ تكونَ اقوى قليلاً مما هي عليه أوْ أنَّ القوى النوويةَ القويةَ والضعيفةَ يمْكِنُ فيما يفترض أنْ تكونَ أضعفَ قليلا. ومن الظاهر أنَّهُ ليس من سببٍ أساسيٍّ يمْنَعُ فيما ينْبغي أنْ تكونَ شحنةُ الإلكترون أكبرَ قليلًا مما هي عليه أوْ أنْ تكونَ كتلةُ البروتون أقلَّ قليلا. على أنَّهُ لو تَمَّ وقوعُ أيٍّ من هذه

التغيرات فيكاد يكون من المؤكد أنَّهُ سينتجُ عن ذلك كوْنٌ لا حياةَ فيه. وفيما يبدو فإنَّهُ ما لمْ يَكُنْ هناك مبدأٌ غامضٌ يعْمَلُ هنا فإنَّ الحياةَ ستكون نتيجةَ سلسلةٍ من مُصَادَفاتٍ استثنائية.

ونفس وجود العناصر التي تتأسس عليها الحياة -مثل الكربون والأوكسجين- هو فيما يبدو يعتمدُ على ما لا يمْكِنُ وصْفُهُ إلَّا بأنَّهُ ضرْبَةُ حظٍّ غيْرُ متوقعة. فهذه العناصرُ لم يكنْ يمْكنُ قطّ تخليقُها بكميات يعتد بها لو لم تكن نَوَى ذرات الكربون والبريليوم تحْوي بالضبط المستويات المناسبةَ من الطاقة وهو أمرٌ من الظاهر أنَّهُ يتم مصادفة. ونواة الكربون التي تتكونُ من ستّ بروتونات وستّ نيوترونات يمكن تركيبُها من ثلاث نويات للهليوم -التي لكل منها بروتونان ونيوترونان-. على أن هذه العملية ما كانت لتحدث كثيرًا جدًّا لو لم يكنْ يوجدُ شكْلٌ غير مستقر من البريليوم -له أربعةُ بروتونات وأربعةُ نيوترونات- وله بالضبط ما هو مناسبٌ من الخواص.

وحسب ميكانيكا الكم، فإنَّ الذرةَ أو نواةَ الذرةِ لا يمكن أنْ تحوز أيَّ قدْرٍ اعتباطيٍّ من الطاقة. فالذرات والنوى كلاهما لهما مستويات طاقة عديدة مختلفة. وهي لا يمْكِنُها أنْ تمتصَّ الطاقةَ أو تبثها بأي قدر اعتباطي، وإنَّما لا بُدَّ وأنْ تخضع في ذلك لوثبات كميّة تذهب بها من أحد مستويات الطاقة المسموح به إلى الآخر. ومستويات الطاقة تلعب دورًا مهمًّا في التفاعلات النووية. وعلى وجه التحديد فإنَّ اتحادَ نواتيْ هِلْيوم معًا ليكونا نواة بريليوم سيكون من الأمور النادرة جدًّا ما لم يكن للبريليوم مستوى الطاقة المناسب بالضبط. والواقع أن وجود هذا المستوى يضفي على نواتي الهليوم (ألفة Affinity) فيما بينهما ما كانتا تحوزانها بغير ذلك.

ونواة الكربون يبدو أنَّ لها أيضًا مستوى الطاقة المناسبَ بالضبط لما يحتاجه دعم تكوين الكربون من الهليوم والبريليوم. وإذا لم يوجدْ هذا المستوى فسيظل تكوينُ الكربون أمرًا ممكنًا؛ ولكنْ ليس بكميات يعتد بها. ولو كانت كمية الكربون في الكون تقل كثيرًا عما هو موجودٌ لن يكون من الممكِنِ أيضًا وجود قدر كبير من الأوكسجين. فالأوكسجين الذي يتكون من ثمانية بروتونات وثمانية نيوترونات يتم تركيبه بأن تتمدد نوى الكربون والهليوم معا.

وعند هذه النقطةِ قد يعترضُ أحدُ المتشككين بأنَّ الحججَ التي منْ هذا النوْع لا تخبِرُنا بأيِّ شيءٍ عن احتمالات الحياة؛ ولكنها فحسْب تبرهنُ على مدَى تعصُّبِنا الشوفينيِّ للكائن البشري. وقد يتساءل هذا المتشكك: كيف نفترض أنَّ الكائناتِ الحيةَ يجبُ أنْ تُصْنَعَ من الكربون والأوكسجين؟ من المؤكد أنَّهُ يمْكِنُ تصوُّر وجود أنواع أخرى من الحياة.

وهذه المحاجَّةُ تطْرَحُ رأيًا له وجاهتُه. فنحن لا يمكنُ أنْ نكونَ واثقين من أنَّهُ لو كان هناك وجود لحياة في مكان آخر من الكوْن فإنَّها يجبُ بالضرورة أنْ تكونَ مشابهةً لنا. ورغْم كلِّ ما نعرفُ فإنَّهُ يمْكِنُ أنْ توجدَ حياةٌ من نوعٍ ما على سطْحِ النّجومِ الحمراء العملاقة. على أنَّ تحليلَ تخليق الكربون والأوكسجين ليس إلَّا الخطوةَ الأولى في المحاجة التي تدعو للبرهنة على قلة احتمال الحياة. فبعد أنْ يتَّضِحَ أنَّ الحياةَ التي تتأسسُ على الكربون هي أمرٌ قليلُ الاحتمال سيكون من السهل مواصلة تطوير الحجج التي تبرهن فيما يبدو على قلَّةِ احتمال وجود حياةٍ من أيِّ نوع.

وفيما يُحْتَمَلُ فإنَّ من المعقول أنْ نفترضَ أنَّ الحياةَ –من أيِّ نوعٍ كانت– تعتمدُ على وجود النجوم. فبدون النجوم لنْ يكونَ هناك ضوْءٌ ولا حرارةٌ وأغلبُ

الاحتمال أنَّهُ لنْ يكون هناك سريانٌ للطاقة من مكان لآخر على نحْوٍ لهُ أهميَّةُ. وبالإضافة فإنَّهُ يكادُ يكونُ من المؤكّدِ أنَّ الحياةَ تعتمدُ على وجود ذرّاتٍ وعناصرَ غيرِ الهيدروجين. ولنْ يكونَ من السهل تصوّرُ كائنات حيَّةٍ في كوْنٍ لا يحوي شيئًا سوى غاز الهيدروجين أوْ في كوْنٍ ليس مما يحدث فيه كثيرًا أنْ تَتَّحِدَ البروتونات والنيوترونات والإليكتروناتُ لتكوّنَ المادة. ومع كلّ فإنَّ معظمَ الأكوان التي يمْكِنُ تصوُّرُها لا يوجدُ فيها نجومٌ ولا ذرات. وبالمثل فإنَّ الكتلَ التي للنيوترونات والبروتونات في كوْننا هي قريبةٌ جدًّا إحداها من الأخرى، حيْثُ النيوترونُ أثقَلُ بحوالي ١ر٠ في المائة. ولو أنَّ هذا الاختلافَ بالكتلة كانَ أصْغَرَ هوْنًا فحسب لما أمْكَنَ أنْ تضمحلَ النيوترونات إلى بروتونات أثناء المراحل المبكرة من الانفجار الكبير. وكنتيجةٍ لذلك كان سيوجد لدينا كوْنٌ من نوعٍ مختلف بالكلية، كون تكون فيه الأعدادُ النسبية للنيوترونات والبروتونات جِدٌ مختلفة. ولو كانتْ البروتونات هي الأثقلُ هونًا، لأمكنَ أنْ تضمحل البروتونات إلى نيوترونات وبوزيترونات. وكنتيجة لذلك كان سيوجد في الكون الآن عدد قليل من البروتونات أو أنَّها ما كانت لتوجد. وفيما يحتمل، فإنَّهُ لن يكونَ هناك أيضًا عددٌ كبيرٌ من الإلكترونات، ذلك أنَّ الإلكترونات هي والبوزيترونات سيقومُ كلٌّ منهما بإبادة الآخر بالتبادل عندما يلتقي أحدهما بالآخر. وفي كوْنٍ كهذا سوف يمتلئ الفضاء بالنيوترونات أمّا ما عدا ذلك من جسيمات فستكون قليلة.

ولو حدثتْ أهوْنُ التغيرات في شدّةِ أيٍّ من القوى الأربع ستظهرُ النتائجُ في كوارث مماثلة تقريبًا. وبالمِثْل لو أنَّ القوة النووية القوية كانْ أضعفَ بخمسة في المائة فحسب فإنَّ الديتريوم لن يكونَ له وجودٌ حيْثُ إنَّ القوةَ القويةَ لنْ تكونَ بالشدة الكافية لأنْ تبقى النيوترونات والبروتونات متماسكةً معًا. وتكوين الديتريوم

هو خطوةٌ واحدةٌ في سلسلة التفاعلات التي تُحَوّلُ بها النجومُ الهيدروجين إلى هيليوم. وإذا أصْبَحَ تكوينُ الديتريوم من غيْرِ الممكنِ فإنَّ النجومَ لنْ تتمكنَ من أنْ تسطع.

ولو كانتْ القوّةُ النوويّةُ القويّةُ أشدَّ مما هي عليه بنسبة مئوية قليلة فإنَّ النتائجَ ستكونُ حتى أسوأ -على الأقلّ من وجْهَةِ نظرنا نحن-. ففي هذه الحالة سيكونُ من المُمْكِنِ تخليقُ جسيماتٍ تُدْعَى (ثنائي البروتون) تتكون من بروتونين مربوطين معًا. وثنائي البروتون لا يوجدُ في كوْننا لأنَّ القوّةَ القويّةَ ليْسَتْ بالشِّدَّةِ الكافية تمامًا لتغلب على التنافر الكهربائي بين البروتونين المشحونين بشحنة موجبة. ولو حدث ووجدت بالفعل ثنائيات البروتون فإنَّ النجومَ لنْ تحرقَ الهيدروجين بمعدل بطيء ثابت كما تفعل في كوننا. وعلى العكس من ذلك فإنَّ تركيزات غاز الهيدروجين سوف تؤدي إلى انفجارات نوويّةٍ كارثيةٍ وسوْفَ تُنفثُ النجومُ ممزقةً قبل أن تستطيع أن تتكون. وبالإضافة فحيث إنَّ الهيدروجين يمكن أنْ يدخلَ بسهولة بالغة في تفاعلات نووية فإنَّ الكوْنَ كان سيتكوَّنُ كلُّهُ تقريبًا من الهيليوم.

ولو كان هناك أهْوَنُ اختلافٍ في شدَّةِ القوى النووية الضعيفة أو الكهرومغناطيسية أو الجذبوية فإنَّ النتيجة ستكون أيضًا كونًا غير مواتٍ للحياة. وبعض الأكوان الممكنة كهذا لا يوجد فيها ذرات. والبعض الآخر سيمتلئ فضاؤه بالنيوترونات أوْ بلا شيءٍ سوى غاز الهيدروجين أو الهليوم. بل وستكون هناك أكوانٌ أخرى لا تتشكل فيها نجومٌ أوْ أنَّ النجومَ ستحترقُ سريعًا بحيث لا يكون هناك قط أيّة فرصة لأنْ تنشأ الحياة. بل ويمكن أن نتصور أكوانًا غير مواتية للحياة لأن لها خواص بعدية غير مناسبة. وبالمثل فلو كان للمكان بعدان فقط فإنَّ خلْقَ الحياة يكون في أقل ما يقال مشكلة. فلن يكون من الممكن مثلاً أنْ

يحوز الحيوان جهازًا هضميًا يجري من أحد أطرافه للآخر فمَمَرٌّ له هذا المسار سوف يشقُّ الحيوان في جزئين. ولو كان للمكان أربعةُ أبعادٍ لن يمكنَ أنْ توجدَ مداراتٌ مستقرة للكواكب. ومن الممكن البرهنةُ رياضيًا على أنَّهُ لو تكوَّنَتْ بالفعل كواكبُ في فضاءٍ كهذا فإنَّها سوْفَ تنْدَفِعُ لولبيًّا لداخل الشمس".[٧٦]

فهذا الضبط الدقيق أو المعايرةُ الدقيقةُ للكوْنِ (Fine Tuning Of The Universe) يدلُّ على أنَّ هناك من ضبط هذه المقادير لأجْلِ صلاحية ظهور الحياة وخلق الإنسان في نهاية الأمر، وهو ما يعرف بـ(المبدأ الإنساني Anthropic Principle) والمقصودُ بِهِ أنَّ الكوْنَ تَمَّ تهيئَتُهُ ليسمح بنشوء الحياة العاقلة الواعية.[٧٧]

المرجحات الخارجية للإيمان على الإلحاد:

وهي ليستْ أدلَّةً بالمعنى المتداول لكنَّها مرجحات ترجِّحُ كفَّةَ الإيمان على الإلحاد وهي ثلاثة: الحيطة أوْ ما يعرف بـ(رهان باسكال Pascal Wager، والصحة النفسية، والسلامة المجتمعية).

ـ رهان باسكال:

ووضَعَهُ اللاأدريُّ (بليز باسكال) لبلوغ شاطئ الأمان في مسألة الإيمان بالله من عدمه، وخلاصتُهُ أنَّ المرءَ أمامَهُ ٤ احتمالات:

١) إمَّا أنْ تؤمنَ بالله ويكونَ اللهُ موجودًا فتكون رابحًا ربْحًا غيْرَ محدود.

٢) أوْ أنْ تكْفُرَ بهِ ويكونَ اللهُ موجودًا فتكون خاسرًا خسارةً غير محدودة.

٣) أو أنْ تؤمنَ به ويكون غيْرُ موجود فتكون خاسرًا خسارة محدودة.

---

(٧٦) ريتشارد موريس، "حافة العلم – عبور الحد من الفيزياء إلى الميتافيزيقا"، ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي، منشورات المجمع الثقافي – أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة ص٢١٧–٢٢٠.

(77) Barrow, John D.; Tipler, Frank J. (1988). The Anthropic Cosmological Principle. Oxford University Press.

٤) أو أنْ تكْفُرَ به ويكونَ غيْرَ موجود فتكون رابحًا ربْحًا محدودا.

وبالمقارنة بين هذه الاحتمالات نجدُ أنَّ أكثرها حيطةً وأقربُها للسلامةِ والنجاة وتحصيل المنفعة هو الخيار الأول الذي يقدم لنا الربح الأكبر بغض النظر عن وجود الله من عدمه وأكثرها خسرانًا هو الثاني، فيكون الخيار الأسلم الذي ينبغي اتباعه هو الإيمان بالله بينما الخيارُ الأسوأ الذي ينبغي تجَنُّبُهُ هو الكفر بالله. وحقيقة هذا الرهان قريبة من قول الشاعر المعري :

زعمَ المُنَجِّمُ والطبيبُ كلاهما *** لا تُبْعَثُ الأجسادِ قلت: إليكما

إنْ صحَّ قولُكما فلستُ بخاسرٍ *** أوْ صَحَّ قولي فالخَسَارُ عليكما

ـ أهمية الإيمان للصحة النفسية:

نشرت مجلةُ الطبِّ النفسيّ الأمريكية (The American Journal Of Psychiatry) عام ٢٠٠٤م، دراسةً تثبتُ وجودَ علاقةٍ بين الإلحاد والسعي للانتحار بعنوان (الانتماء الديني ومحاولة الانتحار).[٧٨]

وتوصلت الدراسةُ إلى نتائج مهمة:

١) نسبة الانتحار لدى الملحدين أعْلَى ما يُمْكِن.

٢) نسبة الانتحار كانتْ أعْلَى لدى غير المتزوجين.

٣) نسبة الانتحار قليلةٌ بين مَن لديهم أطفالٌ أكثر.

٤) الملحدون أكثرُ عدوانيةً من غيرهم.

٥) الإنسانُ المؤمنُ أقلُّ غضبًا وعدوانيَّةً واندفاعا.

٦) الدينُ يساعدُ على تحمُّلِ أعْباءِ الحياةِ والإجهادات ويقلل فرص الإصابة بالاضطرابات النفسية المختلفة.

---

[78] http://ajp.psychiatryonline.org/article.aspx?articleid=177228

٧) الملحدونَ كانوا أكثرَ الناس تفككًا اجتماعيًا وليْسَ لديهم أيُّ ارتباطٍ اجتماعيٌ لذلك كان الإقدامُ على الانتحار سهلًا بالنسبة لهم.

٨) خُتِمَتْ الدراسةُ بتوصية: "إنَّ الثقافةَ الدينيَّةَ هي علاجٌ مناسبٌ لظاهرة الانتحار".

وهذا أمرٌ حقيقيٌ ومُشاهدُ وقد يكونُ من المناسب أنْ أنْقِلَ هنا رسالةَ أحدِ الأخوَةِ في (منتدى التوحيد) لأحد الملحدين عندما ذكر أنَّهُ يفكر في الانتحار: "ذكرتَ يا هداك اللهُ أنَّكَ فكَّرتَ في الانتحار لما ألمَّ بِكَ من ظروفٍ سيِّئةٍ لا تَعْدو ما يواجِهُهُ مراهقٌ في مقتبل عمره حين يعاني أمرَ تكوين شخصيَّتِهِ واكْتسابِ الأصْدقاء من حوله وذكرتَ ما بلَغَتْ بكَ الوسوسةُ حتى شككْتَ في عقْلِكَ وقدراته الذي كان سلاحَكَ يومًا في الإعراض عن الله وما اشترعه لعباده المؤمنين فإذا به سلاحٌ في يدك لكنَّهُ عليك لا لكَ وإليك لا إلى غيرك.

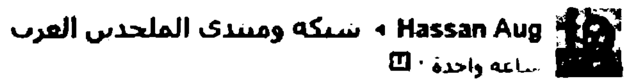
وما عجبتَ أبدًا وأنتَ تدين الإلحادَ أنْ تفكِرَ بالانْتحار فهذا أمرٌ لا يستغرب بل أعظم ما أعجب له أنْ أرى ملحدًا لا يعزِمُ على الانْتحار ولا يُقْدِمُ عليه فكيف له إنْ كان ملحدًا حقا أنْ يقاسي مرارةَ الحياة بلا هدفٍ سوى أنْ يكون ألعوبةً لصدفة أزلية حمقاء عمياء لا منتهى له فيها يزيد على أن يكونَ جيفةً منتنة بقفر من الأرض تتحلل حتى لا يكاد يبقى منها شيءٌ ثم لا حسابٌ ولا عقابٌ ولا أملٌ ولا رجاءٌ بعد كل تلك الحياة المليئة بالأسقام وقساوة العيش فما معنى هذه الحياة حتى يصبر عليها ويصابر على شدائدها وصعابها؟ وما الذي يدفع ملحدًا لأنْ ينشب بأظفارَهُ فيها تمَسُّكًا بعيش ساعة لا يصفو كدرها ولا يحلو مرها.

ولماذا يحسن المرء إلى الآخرين أو يجزي الإحسان بالإحسان ويلتزم حسن الأخلاق ويجتنب مرذولها وسيئها إذا كان ذلك كله إلى عبث ولهو مغرق في السفه والفوضى ؟

وقدر لو أنَّ الناسَ آمنوا بالإلحاد دينًا وكفروا بكلِّ ما عداه، كيف سيعمرون حينها خرابَ أرواحهم بلذات الجسد التي يمحوها سراعًا عالمُ النسيان، ويذهبُ ذكراها بما يتبعه من شقاء الحياة وشدائد عيشها؟ فأيُّ شقاءٍ للروح ذلك الشقاء وأيُّ استعباد للجسد ذلك الاستعباد!

وفكر ما شئت أنس تفكرَ في مجتمع آلهته هي المنفعة الشخصية وعقيدته أنْ لا حساب ولا عقاب إلا ما تواضع عليه المجتمع في هذه الحياة التي بلا معنى يعقبها كما لا معنى لها تحمله وما هؤلاء الذين تواضعوا على قانونهم إلا أفرادٌ سبقوهم فقيدوهم بما افترَوْهُ من رأيٍّ فأيُّ عاصمٍ ورادعٍ من عدوان الإنسان على الإنسان وتمرده على كل قانون وأيُّ زاجر عن كل خبيث من سلوك أو خلق إذا ولع به فرد من ملحدي مجتمعهم؟

أفكرت؟ أتدبرت؟ لقد كان في ذلك كفاية لمن كان له عقل ولكن أين من يحسن التفكر والتدبر؟



عجبا لملحد لا ينتحر فسيان حياته وموته بلْ حياتُهُ في مقياس إلحاده سفَهٌ لا دواءَ له إلَّا شراب أو مسحوق سام يستفه أو إزهاق روحه بأي طريق يكون بها

حتفه. وإنَّ من الحدَ حُقٌ له ان يُلْحَد، فليس له فوق الأرض موطئ أو مأوى، وليس شيء أولى به من الأرض إلا لحد يُلْحَد فيه بما فيه من إلحاد وجحد".[٧٩]

وبسبب هذا السقم الروحيّ والنفسيّ البالغِ في الإلحاد يسْعَى بعضُ الملاحدة اليوم إلى الترويج لما يسمى الإصدار الثاني من الإلحاد (Atheism 2.0) حيْثُ يتمُّ تصنيعُ ديانة للإلحاد تشْمَلُ كلُّ الأبعاد الطقوسية والشعائرية والاجتماعية للدين كمحاولة لإخراج الإلحاد من جفافه وسقمه الروحي وتولى الدعوة لهذا الأمر الفيلسوف الملحد (آلان دو بوتون Alain De Botton) في محاضرة شهيرة له في (تيد TED).[٨٠]

وليس (دو بوتون) هو أوَّلُ من انتبه لهذا القصور في الإلحاد، فأحد رموز (الفلسفة النفعية Pragmatism) وهو (وليم جيمس William James ١٨٤٢ – ١٩١٠م) كان ينبِّهُ باستمرارٍ على أهمية الدِّين في تحصيل السعادة النفسية والروحية، وكان ينْطَلِقُ من منطلقات الفلسفة النفعيَّةِ في تسويغه للدّين والاعتقاد الديني كسبيل للوصول إلى الاستقرار والراحة والطمأنينة في حالات القلق والاضطراب، وذكر الكثير من التجارب الإنسانية في كتابه (صنوف من الخبرة الدينية The Varieties Of Religious Experience) وله أيضًا كتاب (إرادة الاعتقاد The Will To Believe) الذي يقرر فيه مزايا الاعتقاد الدينيّ التي ترجِّحُهُ على الإلحاد أو الشك وأبرزها أنَّهُ يؤدي إلى الراحة والانسجام النفسي الذي

---

[٧٩] القلب الأسود، " تحليل نفسية الملحد "، منتدى التوحيد.

http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?21997

[80] http://www.ted.com/talks/alain_de_botton_atheism_2_0

يساعد الإنسانُ الفردُ فيما يعترضه من مشاكل وصعوبات في الحياة بينما التشككُ والإلحادُ لا يجني الإنسانُ من ورائهما سوى التشتت والضياع.

ـ أهمية الإيمان لأجل سلامة المجتمع:

في مجتمع يعْلُو فيه الإلحادُ وتسودُ الأخلاقُ النفعيَّةُ والمصالحُ الفرديَّةُ المحْضَةُ تكونُ الأولوية لمصلحةِ الفرد على مصلحة المجتمع، فيفسد المجتمع بالتالي وينهار بدْءًا من مؤسسة الأسرة حتى المؤسسات الأمنية السيادية الحساسة. يقول الفيلسوف الإنجليزي –أبو الليبرالية الغربية– (جون لوك John Locke) بخصوص الملحدين في المجتمع: "وأخيرًا لا يمكنُ التسامُحُ على الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله. فالوعد والعهد والقسم من حيث هي روابطُ المجتمع البشري ليس لها قيمة بالنسبة للملحد. فإنكار الله حتى لو كان بالفكر فقطْ يفكِّكُ جميع الأشياء. هذا بالإضافة إلى أن أولئك الملحدين الذين يدمرون كلَّ الأديان ليس من حقّهم أنْ يستندوا إلى الدّين لكي يتَّحدوا".[٨١] فالحقيقةُ أنَّ الملاحدةَ ليس عندهم اعتبارٌ للقيَمِ التي تربط أواصر المجتمع كالعهد والقسم، فأيُّ معنى للحياة الزوجية عند الملحد والزواج ميثاقٌ غليظ كما هو معلوم؟ هل يجوز لملحد أن يقسم بالله الذي ينكر وجوده؟ وهل يصح عقلًا هذا القسم أصلا؟ فضلًا عن السؤال الحيوي الذي يبرز في هذا الإطار وهو: كيف يمكن الثقة بمن يكون القسم بالله في نظره بلا قيمة ولا اعتبار؟

فحقيقةُ الأمْرُ أنَّ الإيمانَ بالله ضمان لسلامة المجتمع وحفظه من التردي والفشل وقد أدرك فلاسفة اليونان القدامى مثل (أفلاطون وسقراط) هذه المسألة فاخترعوا مفهوم (الكذبة النبيلة Noble Lie) التي يتمُّ عن طريقها ابتداع أفكارٍ

-[٨١] جون لوك، "رسالة في التسامح"، ص٥٧، ترجمة منى أبو سنة، نشر مكتبة الأسرة ٢٠٠٥م.

دينيةٍ عن الإله بين الناس تدفعهم لفعل الخير وتجعلهم أكثر حرصًا على المجتمع والدولة وعلى بعضهم البعض.[٨٢] وقد تأثَّرَ بهذا النهج بعضُ فلاسفة المسلمين مثل (ابن سينا والفارابي وابن رشد) وقالوا: "إنَّ للشريعة ظاهرًا وباطنًا، فالظاهرُ للعوام من الناس حتى تستقيمَ أحوالُهم والباطنُ للخاصة من العلماء، وأنَّ الرسلَ إنَّما جاؤوا برسالات لها ظاهر وباطن، ولهذا نقضهم الغزالي وابن تيمية وغيرهما من علماء المسلمين.

ولأجْلِ هذا نجدُ منظماتٍ إلحاديَّةً مثلَ شبكة (بحر الإيمان Sea Of Faith Network) تدعو إلى التمسك بالإيمان الديني مع الإقرار بأنه من اختراع البشر.[٨٣] فهذا كُلُّهُ برهانٌ على أهمية الدين والإيمان لسلامة المجتمع وتماسكه وأنَّهُ حتى عقلاء الملاحدة واللاأدريين يسعون للحفاظ على دور الدين في المجتمع مع اعتقادهم بأنَّهُ من اختراع البشر.

---

[82] Plato, The Republic, Book 3, 414b-415d
[83] http://www.sofn.org.uk/

الفصل الثالث

أطروحات الإلحاد في مناوئة الأدلة على وجود اللّه

أطروحات الإلحاد في مناوئة الأدلة على وجود الله

لا يُسَلِّمُ الملحدونَ بحجية الأدلة على وجود الله ويسعون في الاعتراض عليها لبيان أنَّها تؤدّي إلى وقوعِ إشكالاتٍ وتناقضاتٍ عقليةٍ لا يمْكِنُ معها الاعتقاد بوجد إلهٍ أو كما يقول الملحدُ (جميل صدقي الزهاوي):

لمَّا جهَلْتَ من الطبيعةِ أمرَها *** وأقمْتَ نفسَكَ في مقامٍ معلل

أثبتّ ربًّا تبْتَغِي حلًّا به *** للمُشْكلاتِ فكان أكْبَرَ مشكل

وسوف نتناولُ أربعةً من هذه الاعتراضات الإلحادية وهي: سؤالهم من خلق الله، ومشكلة وجود الشر، وزعمهم تناقض القدرة الإلهية، وتناقض العلم الإلهي.

من خلق الله؟

يطْرَحُ الملاحدةُ اعتراضًا مفادُهُ أنَّهُ إذا كان لكلِّ مخلوقٍ في هذا العالم -بل والعالم كله- خالقٌ خلقَهُ وهو الله فمن الذي خلق الله؟ ثم من خلق خالق الله؟ وهكذا إلى ما لا نهاية.

وهُمْ في هذا المسلكِ يقترحون أنَّهُ لا مانِعَ من أنْ يكونَ لهذا الكوْن سببٌ ولهذا السبب سبَبٌ أعْلَى منه ولهذا السبب الأعْلَى سبَبٌ أعْلَى وهكذا إلى مالا نهاية. ورغم ظهور بطلان هذا المسلك في بداهة العقل إلَّا أنَّهم لا يتوقفون عن طرحه وتكراره والمنافحة عنه.

وقد جَرَتْ طريقةُ العلماء المتكلمين في الردّ على هذه الطريقة بإبطال تسلسل العلل والأسباب إلى مالا نهاية عن طريق إنكار إمْكانِ وقوعِ مفهومِ الـ(مالانهاية) أصلا، ولهم أساليبُ عقليةٌ مثل برهان التطبيق وغير؛ لكنَّ الحقيقةَ أنَّ مفهومَ التسلسلَ اللانهائيَّ في الماضي لا إشْكال فيه إنَّما تسلسل العلل إلى مالا نهاية

هو المشكِلُ غيرُ المقبول عقلا. فإنَّ تصوُّرَ سلسلة من الأسباب كلُّ فرْدٍ فيها هو نتيجةٌ ومعلولٌ لما قبله تمتد إلى مالا نهاية في الماضي فهذا يعْني أنَّهُ لا وجودَ لسببٍ حقيقيٍّ أصلًا لأنَّ أفرادَ السلسلة كلَّهم مفتقرون إلى علّة أو سبب أو خالق فأين الخالق الحقيقي إذًا؟

لهذا نقول: إنَّهُ بفرض وجود هذه السلسلة من العلل فإنَّها لابُدَّ أنْ تنتهي إلى سببٍ أوَّلٍ حقيقيٍّ ليس له سببٌ حتى يصِحَّ معنى العليّة أو السببية، ويضْرِبُ بعضَ العلماء لهذا الأمر مثالًا لتقريبه إلى الأذهان: تخيل أنَّ هناك سلسلةً معلقةً في الفراغ، وكلَّ حلقةٍ من هذه السلسلة معلقةٌ من الحلقة التي تعلوها وهكذا إلى أعلى. في الحقيقة فإنَّ هذا التعلقَ لا يمكنُ أنْ يكونَ لانهائيًا بلْ لابُدَّ من وجود سقفٍ ثابتٍ تنتهي إليه هذه السلسلةُ وإلا لو كانت السلسلة عبارة عن حلقات فقط لسقطت على الأرض ولنْ تمتدَّ إلى أعلى لأنَّ وجودَ شيء حقيقيٍّ تتعلق منه السلسلة دون أنْ يعتمدَ على غيره هو السبب الوحيدُ لاستمرار تعلق كل هذه الحلقات.

وبعض العلماء يضرب لهذا الأمر مثالًا أوضح: هو مثال الأصفار المتتالية، فمهْما تراصت الأصفارُ إلى بعضها البعض فلن تضيفَ أيَّةَ قيمة بل وجودُ أيِّ رقمٍ آخر هو الأمرُ الوحيدُ الذي يجعل للأصفار على يمينه قيمة ومقدار، فتعدد الأصفار ولو كان إلى ما لانهاية لا يعني أيّ شيء؛ لكن وجود رقم واحد –من واحد إلى تسعة– يجعل لهذه الأصفار قيمةً ومعنًى ومقدارا.

لكنْ في واقع الأمر فإنَّ حتى وقوع هذا التسلسل باطلٌ عقلا. لماذا؟ لأنَّهُ إذا افترضنا أنَّ هناك شيء يحتاج في وجوده إلى غيره ليمنحه الوجود، فإن هذا الغير لابد أن يكون قادرًا على منح الوجود ولا يمْكِنُ أنْ يكونَ معتمدًا في وجوده على

غيره، لأنَّ فاقدَ الشيء لا يعطيه، ولو كان موجدُ العالم لا يملكُ إيجادَ نفسه بلْ يحتاج في وجوده إلى غيره فهو لا يملك بقياس الأولى أن يوجد غيره، فمن لا يقدرُ على إيجادِ نفسِهِ أو يفتقر في وجوده نفسه إلى سواه لا يقدر بالأحرى على إيجاد غيره.

نستنتج من هذا أنَّ خالقَ هذا العالم لا يمْكِنُ أنْ يكونَ ممكنًا من الممكنات المفتقرة في وجودها إلى غيرها، بل هو متصفٌ بوجوب الوجود أيْ أنَّ وجودَهُ واجبٌ وضروريٌّ لا يفتقر إلى سواه.

لأجل هذا يجيبُ الكثيرُ من العلماء والدعاة عن هذا السؤال بأنَّ ذاتَ الله ليستْ كذوات المخلوقات المفتقرة إلى خالق لهذا لا يصحُّ هذا السؤال في حقِّهِ تبارك وتعالى، فمثلاً يطرح الداعية الإسلامي الهندي الشهير (د.ذاكر نايك) سؤالًا مماثلا: إذا قام صديقك (جون) بولادة طفل في المستشفى هل تستطيع أنْ تعرفَ إنْ كان المولود ولدًا أم بنتًا؟ وبعد تخبط أحد الحضور في محاولة إجابة السؤال، يخبره د. نايك بالخدعة التي قام بها وهي أنْ جون ذكرٌ لا يمكنه الولادة وأنَ السؤالَ عن مولوده إنْ كان ذكرًا أو أنثى عبارة عن سؤال في غير محله إطلاقًا، كذلك الله عز وجل ليس مخلوقًا أصلًا فكيف يصح السؤال عمن خلقه. [1] كذلك الدكتور (محمد العوضي) ينكِرُ على من يسأل هذا السؤال بأنَّهُ يخلط بين صفات الخالق وصفات المخلوق وأنَّهُ مثل من يخلط بين صفات الباب وصفات النجار الذي صنعه. [2]

---

[1] يوتيوب: من خلق الله؟ رد مُذهل من د. ذاكر نايك.

https://www.youtube.com/watch?v=BzFPpezZn6g.

[2] يوتيوب: من خلق الله؟ جواب قوي جدا يقهر كل ملحد.

لكنَّ الحقيقةَ أنَّ تقريرَ هذه التفرقة بين صفات الخالق وصفات المخلوق يحتاج إلى مقدمة لتوضيح سبب وجود هذا الفرق ولماذا نعتقد وجود فرق بين صفات الله وذات الله وبين صفات المخلوقات وذوات المخلوقات، وهو ما ذكرناه في بيان افتقار المخلوقات إلى من يمنحها الوجود، وأنَّ مانحَ الوجود لا يمْكِنُ أنْ يفتقرَ في وجوده إلى غيره لأنَّهُ لو كان مفتقرًا لما استطاع منح المخلوقات وجودها أبدًا -ففاقد الشيء لا يعطيه-، ومن كان مفتقرًا في وجوده إلى سبب أعْلَى منه لا يقدر بداهة على منح وإعطاء الوجود لغيره. وبالتالي فإنَّهُ مع علْمِنا بافْتقار المخلوقاتِ إلى خالقٍ فنحن نعلم أنَّ هذا الافتقار لا يمتد إلى خالقها بلْ هو غنيٌّ عن من سواه غير مفتقر في وجوده إلى غيره وأنَّ صفاتِهِ جلَّ وعلا من هذا الوجه تختلف عن صفات مخلوقاته.

مشكلة وجود الشر

تعتبر قضية وجود الشر في العالم من أكثر القضايا حضورًا وتأثيرًا في الفلسفة الإلحادية، ويرى العديدُ من الفلاسفة الملاحدة والمتشككين عبر التاريخ أنَّ وجودَ الشر يمثل إشكالًا عسيرًا أو تناقضًا لا يمكن رفعُهُ للمؤمنين بوجود الله، فها هو (ديفيد هيوم David Hume) يقول: "وما زال السؤالُ القديمُ الذي طرحه (إبيقور Epicurus) بدون إجابة: هل هو يريدُ منعَ الشرّ لكنَّهُ لا يقْدِرُ؟ إذًا هو عاجز، هل هو قادرٌ لكنَّهُ لا يريد؟ إذًا هو بغيض، هل هو قادرٌ ويريدُ معا؟ إذًا هو شرير". [٣]

كذلك يرون أنَّهُ من غير المنطقي أنْ يجمعَ المرءُ بيْنَ إيمانه بوجود الله وكمال صفاته واعتقاده بوجود الشرور في العالم، يقول م(اكلوسكي H. J. McCloskey):

---

https://www.youtube.com/watch?v=oXAtVne97-8.

[3] David Hume, "Dialogues Concerning Natural Religion", part 10.

"يُعتبرُ الشرُّ مشكلةً للمؤمن من جهة أنَّ هناك تناقضًا بين حقيقة وجود الشر من جهة والإيمان بكمال الله (Perfection of God) وعدم محدودية قدرته (Omnipotence) من الجهة الأخرى. (٤)

ويقول (ماكي J. L. Mackie): "مشكلة الشر –بالمفهوم الذي سأستعمله هنا– هي مشكلةٌ فقطْ لمن يؤمن بوجود إلهٍ مطلقِ القدرة (Omnipotent) ومطلق الخيرية (Wholly Good). وهي مشكلةٌ منطقيَّةٌ (logical) في التوفيق بين عدد من الاعتقادات وليست مشكلةً علمية (scientific) يمْكِنُ حلُّها بالمزيد من الملاحظة العلمية أو مشكلة عملية (practical) يمكن حلُّها بقرار أو إجراء عملي. (٥)

ويتكلم غيرهم من الفلاسفة الملحدين بنفس المنطق، فمن وجهة نظرهم فالاعتقاد بوجود الله ووجود الشر يشتمل على تناقض؛ لكنَّ هذا التناقضَ ليس مباشرًا بلْ هو يحتاجُ إلى بيانِ عددٍ من المقدمات يمكنُنا أنْ نضَعْها بالترتيب:

(١) الله موجود.

(٢) الله مطلق القدرة.

(٣) الله مطلق العلم.

(٤) الله مطلق الخيرية.

(٥) الشر موجود.

هذه المقدماتُ الخمسةُ صحيحةٌ ومتفقةٌ مع اعتقاد المؤمنين بالأديان عمومًا، ويرى منظرو الإلحاد أنَّها متناقضةٌ؛ لكنَّ نظرةً سريعةً إليها تكشفُ أنَّ هذه

---

(4) H. J. McCloskey, "God and Evil", Philosophical Quarterly, Vol. 10, No. 39. (Apr., 1960), p. 97.

(5) J. L. Mackie, "Evil and Omnipotence", Mind, New Series, Vol. 64, No. 254. (Apr., 1955), p. 200.

المقدماتِ ليستْ متناقضةً نظريا، ولإثبات تناقضها فالمسألة بحاجة إلى إضافة المزيد من المقدمات؛[٦] لكنَّ أيَّةَ مقدمةٍ ستتم إضافتها لابُدَّ أنْ تكونَ واحدةً من ثلاثة أمور:[٧]

(١) أنْ تكونَ حقيقةً واقعة.

(٢) أن تكون جزءًا من اعتقاد المؤمن فلا يُمْكِنُ أنْ تحتجَّ على المؤمن بأمرٍ لا يعتقده ولا يعتقد صحته.

(٣) أن تكونَ لازم اعتقاد المؤمن حتى إنْ لم يعتقدها مباشرةً لكنها تلزمه عقلا.

وفي هذا الصدد يقترح (ماكي J. L. Mackie) مقدمتين إضافيتين لإبراز التناقض:[٨]

(٦) أنَّ الخيرَ عكسُ الشّرّ بحيثُ إنَّ الخيرَ يمحو الشرَّ كلما كان هذا في استطاعته.

(٧) أنَّهُ لا يوجد ما يَعْجَزُ كاملُ القدرة (Omnipotent) عنْ عمله.

هنا يصحُّ وقوع التناقض لأنَّه إنْ كان اللهُ كلُّهُ خيرٌ ويمحو الشر بقدرته وهو في نفس الوقت لا يعجزه شيء فالنتيجة الحتمية لهذا هي عدم وجود الشر وهذا عكسُ المقدمة رقم (٥) التي تقرر أنَّ الشرَّ موجودٌ وليس معدوما.

لكنَّ الحقيقةَ أنَّ المؤمنَ لا يقْبَل المقدمتين (٦) و (٧) اللتين وضعهما ماكي، فالمقدمة (٧) التي تقرر أنَّهُ لا يوجد ما يعجز الله عن عمله لا تصف بدقة اعتقاد

---

(٦) المرجع السابق.

(7) Alvin Plantinga, "God and Other Minds", Cornell University Press. (1975), p. 117

(8) J. L. Mackie, op. cit., p. 201.

المؤمن، فالله القدير لا يعجز عن أيِّ شيءٍ ممكن عقلا، أمّا المستحيلاتُ العقليةُ أو الأمورُ ممتنعةُ الوجودِ فليست من مقدورات الله عز وجل مثل أنْ يقتل الله نفْسَهُ أوْ أنْ يخلقَ كائنًا حيًّا وميتًا في نفس الوقت وبنفس الاعتبار، فهذه الأمور وأمثالها مستحيلة الوجود لاشتمالها على تناقض يمنع إمكانية تصورها فضلًا عن وجودها.

كذلك المقدمة (٦) أنَّ الخيْرَ كاملُ الخيرية يمحو أيَّ شيء فيه شرٌّ ليست مطابقة للواقع فالطبيب الخيّر مثلًا قد يرى أنَّ بتْرَ عضوٍ ما شرٌّ لكنَّهُ يقدم عليه حتى يحصل خيرٌ أكبرُ وأعظمُ وهو إنقاذ حياة مريضه، فارتكاب الخيْر لبعض الشرور بغرض تحصيل الخير الأكبر لا يقدح في خيريّته بل يؤكدها لكنَّهُ بشرط أنْ تكون محصلة الخير أكبر من الشر.

طبعًا سيعترض البعض أنَّ تشبيه الله بالطبيب في هذا المقام لا يصح لأن الله قادر على توصيل الخير دون شر، لكننا هنا نتكلم عن مقام تعريف الشخص الخيّر وهل يمكن أن يرتكب شرًا أم لا، ونحن نسعى هنا لإثبات حقيقة أن الخيّر عمومًا يمكنه أن يرتكب شرًا – فضلاً عن أن يسمح به – لكي يحصّل خيرًا أكبر. وحصيلة هذا الكلام أن الخيّر قد يرتكب فعلاً مركبًا من خيرٍ وشرٍ شريطة أن يكون الخير أكبر وأعظم، أو أن توجد علاقة سببية بين الخير والشر فيكون الشر سببًا إلى خيرٍ أكبر وأعظم.

هنا قد ينشأ اعتراضٌ بأنَّ الإنسانَ العاجزَ قد لا يقدر فعلًا على توصيل الخيْرِ إلّا عن طريق الوقوع في الشر الاضطراري، إنّما الله القديرُ ليس لديه هذا العجزُ ولا الاضطرار. وهذا الاعتراضُ مبنيٌّ على الجمع بين المقدمتين (٦) و (٧)؛ لكنَّ المؤمنَ يمْكِنُهُ أنْ يردَّ عليه بأنَّ الخيرَ الناتجَ عن الشَّرِّ القليلِ أوْ الحاصل معه أكبر وأعظم من الخير المحض، وأنَّ في عدم وقوع هذا الشر القليل تفويت لكثيرٍ

من الخير الذي لا يمكن تحصيلُهُ إلا بهذا السبيل وأنَّهُ إنْ كان لا يمْكنُ الفصلُ بين الخير والشر في هذه العملية إما لوجود علاقة سببية أو تلازمية بينهما فلا إشْكالَ في وقوع الشرِّ لحكمة أكبر وهي تحصيلُ خيرٍ أكبر.

فإنْ اعترضَ الملحد بأنَّ قدرةَ الله تُحَتِّمُ تحصيلَ الخير دون الاضطرار إلى وقوع الشر كان الجواب هو أنَّ هذا الخيرَ إنْ كان يستلزمُ منطقيًّا وعقليًّا وقوعَ الشر، ولا يمكن تحصيل الأول بدون الثاني وكانت أفعالُ الله لا يقعُ فيها التناقضُ مع العقل والمنطق صار من المقبول وجود الشر في العالم بهذا الاعتبار شريطةَ أنْ يكونَ الخير في العالم أكثر وأكبر.

خلصنا في المحاجّة السابقة إلى نتيجة هي أنَّ وقوعَ الشرِّ في العالم لا يناقضُ رحمة الله ولا يعارض اتصافه بصفات الخير نظرًا لكوْنِ هذا الشر سبيلًا إلى خيرٍ أكبر وأعظم عن طريق اللزوم العقلي والمنطقي؛ لكنَّ هذا اللزومَ العقليَّ والمنطقيَّ معناهُ واسعٌ للغاية، فارتكاب الذنب سبيلٌ إلى التوبة والبلاءُ سبيلٌ إلى الصبر والصمود والتحمل والقتْلُ والشهادةُ في سبيل الله سبيلٌ إلى أعلى الدرجات في الجنة.

قد يعترضُ الملحد أنَّ الله قادرٌ على إيصال هذا الخير دون وقوع الشر؛ لكنَّ هذا في الحقيقة غيرُ مقبول من الناحية المنطقية، فلا يُتَصَوَّرُ عقلًا كيفية وجود صفات الصبر والصمود وتحدي الصعاب –وهي من معاني الخير– دون وقوع البلاء، وكذلك لا يتصور حدوث التوبة دون ذنب ولا نيل الدرجات العلى دون استحقاقها بالشهادة في سبيل الله وغيرها من الأمثلة.

والله جل وعلا ربط الأسباب بمسبباتها شرعًا وقدرًا، وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الكوني وأمره الشرعي ومحل ملكه وتصرفه، فإنكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات العقلية وقدح في العقول والفطر. فقد جعل الله سبحانه مصالحَ العباد -في معاشِهِمْ ومعادِهم والثوابِ والعقابِ والحدودِ والكفّاراتِ والأوامرِ والنواهي والحلالِ والحرامِ- كلّها مرتبطةً بالأسباب وقائمةً بها. بلْ المرءُ نفْسُهُ وصفتُهُ وأفعالُهُ سببٌ لما يصدر عنه، بلْ الموجوداتُ كلُّها أسبابٌ ومسببات والشرْعُ كلُّهُ أسبابٌ ومسببات والمقاديرُ أسبابٌ ومسبباتٌ والقدرُ جارٍ عليها ومتصرف فيها فالأسباب محلُّ الشرع والقدر.[9]

لا شكَّ أنَّ العالم العلوي -أيْ عالم الملائكة- ليس فيه شرٌّ لكنَّهُ كذلك لا يبْلُغُ مستويات الخير الموجودة في عالمنا الأرضي، وقد قرَّرَ العديدُ من أهل العلم أنَّ الأبرارَ من البشر خيْرٌ من الملائكة.[10]

لكنَّ الملحدَ قد يعترضُ من وجه آخر: فالله قادرٌ على أن يجعل عالمنا مثل عالم الملائكة بدون شرٍ ألبته؛ لكن يلزمُهُ أنْ يثبتَ في هذه الحالة أنَّ الخيرَ المجرّدَ أعظمُ وأفضلُ من الخير الممزوج بالشر وهذا صعب جدًّا بل مستحيلٌ في حقيقة الأمر، وعقيدة المؤمن أنَّ اللهَ يسْمَحُ بالشر في هذا العالم لأجْلِ تحصيل الخيْرِ الناتجِ عنه أو المترتب عليه شريطة أنْ تكونَ المحصلةُ العامَّةُ هي زيادةُ الخير على الشر بقدر أكبر من القدر الذي يمكن تحصيله من الخير البحت وأنَّ في وجود الشر من المصالح والمنافع والخيرات ما يبرر وقوعه.[11]

---

[9] ابن القيم، "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل"، دار الحديث – القاهرة، ص٤١٤.

[10] ابن أبي العز الحنفي، "شرح العقيدة الطحاوية"، دار ابن رجب – القاهرة، ص٢٨٢.

[11] ابن القيم، مرجع سابق، ص٤٠٧.

عند هذه النقطة قد يعترض الملحد مطالبًا المؤمن بأنْ يثبتَ له أنْ كلَّ مظاهر الشر في العالم مبررة عقلًا وأنَّ فيها فعلًا من المصالح والمنافِع والخيرات ما يذكره المؤمن ويتحداه أنَّهُ إنْ استطاع المؤمن أن يبرئ الله من بعض الشرور فهو لا يستطيع ذلك بالنسبة لكلّ الشرور.[12]

لكنَّ حقيقةَ الأمر أنَّ هذا الاعتراضَ نفْسَهُ يثبت أنَّ الشر الموجود في العالم من الممكن تبريره أو تفسيره، وأنَّهُ قد يكون له تفسير سواء علمناه أو لم نعلمه، ودور الملحد هنا هو أنْ يثبت أنَّهُ من المستحيل عقلًا تفسيرُ كلّ هذه الشرور وهذا دونه خرْطُ القتاد. بل إنَّهُ لا يوجد ملحدٌ واحد قد أثبت –أو حتى حاول أن يثبت– أنَّ هناك من الشرور في العالم ما يستحيلُ تفسيرُهُ قضيةً ضروريةً عقلًا.[13] بل إنَّ المرْءَ قد يعجبُ من ماهيَّةِ البرهان الذي يمكن أنْ يسوقَهُ الملحدُ لإثبات مثل هذا الأمر، فإنَّهُ لكيْ يثبت أنَّ أمرًا ما هو شرٌ لا خير فيه أو أن الشر فيه غالبٌ على الخير، فهو بحاجة إلى أن يحيط علمًا بكل نتائج وتوابع هذا الأمر في المستقبل. وبما أنَّ هذه النتائج والتوابع مستمرة في المستقبل ولا يمْكِنُ تحديدُ نهايتها أو وقْتِ انقضائها، فلا يمْكِنُ فعلًا أنْ يحْكُمَ الإنسانُ محدودُ العلمِ على أمْرٍ ما بأنَّهُ شر إلَّا إذا أحاطَ بكلّ شيء علمًا.

فضلًا عن هذا فإنَّهُ يحسن بنا أنْ نضيفَ في هذا المقام أنَّهُ إذا استقرَّ لدى المؤمن الإيمانُ بأنَّ لوجود الشَّرِّ في هذا العالم حكمةٌ إلهية عليا –سواء علمناها جزئيًّا أو كليًّا أو لم نعلمها على الإطلاق –، فساعتها يكون الجمع بين حقيقة وجود الله كامل الخيرية وحقيقة وجود الشر في العالم المخلوق ولا يصبح لدينا

---

(12) H. J. McCloskey, op. cit., p. 105.

(13) Alvin Plantinga, op. cit., p. 123.

ايُّ تعارضٍ إطلاقا. [١٤] يقول (أبو الفداء): "وبيانُ ذلك أنْ نقولَ إنَّ العقلَ الصحيحَ يقضي بأنْ نحمِلَ المتشابهات على المحكمات وأنْ نستنبطَ أحكامَ الجزئيات المجهولة من الكليات المتقررة المعلومة وأنْ نقيسَ ما جهلنا على ما علمنا وأنْ نقْطَعَ الشبهاتِ الفرعيةَ بالرجوع إلى الكليات اليقينية وهذا في جميع أبواب العلم. فعندما نرى صورة من صور الألم الشديد أو العذاب يتعرض لها مخلوق من المخلوقات، ولم يتحقق لنا في مفردات الأمْرِ ما به نعلم الحكمةَ الدقيقةَ من نزول ذلك الشر بذاك المخلوق فليس لنا أنْ ننتقِلَ عن الأصل الراسخ المتقرر عندنا بضرورة العقل وبقواطع الشرع إلى ما ينافيه وينقضه بلْ مهما كثُرَتْ صوَرُ الشرور التي نجْهَلُ تأويلَها بعينها لم يجزْ لنا أنْ نتخذ من ذلك ذريعة لنقض الأصل الكلي القطعي في المسألة فإنَّ تلك الشبهاتِ كلَّها مدارها الجهالة أيْ أنَّ كلَّ واحدة منها غايتها أنْ يقال فيها: "لا ندري ولا نتصور لماذا أنزل الله هذا الشر بعينه بهذا المخلوق بعينه"، وليس في شيء منها شبهة دليل على وقوع الظلم أصلا فإذا كانت الجهالة في المسألة الواحدة لا يوصل منها إلى حكم فيها كما هو مقتضى العقل الصريح فلا عبرة بتكاثر الجهالات وتراكمها في نظائر تلك المسألة ولا يصارّ من كثرة تلك الأسئلة إلى توهم الوقوف على مرجح ظني في الأمر لأنَّها ليست أدلَّةً في نفسها وإنَّما جهالات وهذا أجمع ما به يُرد على شبهات بعض الفلاسفة المعاصرين ممن تعلقوا بفكرة أنَّ كثرةَ صور الشر وشناعتها في العالم مع افتقارنا لجواب عن كل واحدة منها أو تأويل لها تمثل مرجحًا ظنيًّا أو احتماليًّا معتبرا لعدم وجود الخالق أو لكوْنِهِ ظالما سبحانه وتعالى.

---

[14] Nelson Pike, “God and Evil: A Reconsideration”, Ethics, LXVIII (1957-1958), p. 119- Also Pike, Hume on Evil, “Philosophical Review”, LXXII (1963), pp. 184-188.

فإذا كان الأصلُ الراسخُ المتقررُ لدينا بيقين أنَّ اللهَ تعالى لا يظلم مثقال ذرةٍ لمْ يكنْ لنا -من الأصل- أنْ نطرحَ سؤالا كهذا: هل هذا الشر بعينه من الظلم أم ليس منه؟ فإنَّ الجوابَ الكليَّ العام معلوم لنا متقرر عندنا ابتداءً وبهذا المسلك تنقطع شبهة الملحد ويتحقق المقصود.[١٥]

وتحرير عقيدتنا في وجود الشر هي أنْ من تأمَّلَ هذا الوجود علم أنَّ الخيْرَ فيه غالبٌ وأنَّ الأمراضَ -وإن كثرتْ- الصحةُ أكثرُ منها واللذات أكثر من الآلام والعافية أكثر من البلاء والغرق والحرق والهدم ونحوها -وإن كثرت- فالسلامة أكثر. ولو لمْ يوجدْ هذا القسْمُ الذي خيره غالبٌ لأجْلَ ما يعرض فيه من الشر لفات الخير الغالب وفوات الخير الغالب شرٌ غالب. ومثال ذلك النار فإنَّ في وجودها منافعَ كثيرة وفيها مفاسد لكنْ إذا قابلنا بين مصالحها ومفاسدها لم تكن لمفاسدها نسبة إلى مصالحها. وكذلك المطرُ والرياحُ والحرُّ والبرد. وبالجملة فعناصر هذا العالم خيرها ممتزج بشرها ولكن خيْرِها غالب.

وتحقيق الأمرِ أنَّ الأمورَ التي يُقالُ هي شرور إمّا أنْ تكونَ أمورًا عدميَّةً أو أمورًا وجودية. فإنْ كانت عدمية فإنَّها إمّا أنْ تكونَ عدمًا لأمور (١) ضرورية للشيء في وجوده كالإحساس والحركة والحياة للكائن الحي (٢) أو ضرورية للشيء في دوام وجوده كالقدرة على التغذي والنمو للكائن الحي (٣) أو ضرورية في كماله مثل الصحة والسمع والبصر والقوة (٤) أو غير ضرورية في وجوده ولا بقائه ولا كماله وإنْ كان وجودُها خيْرًا من عدمها مثل العلم بدقائق العلوم التي لا يضر الجهل بها أو الغنى المفرط.

---

[١٥] أبو الفداء بن مسعود، "جواب في شبهة عذاب البهائم ونزول الشرور بهم"، منتدى التوحيد.
http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?34742

أما الشر الوجودي: فليس شرًّا بالذّات بل بالعرض من حيثُ إنّها تتضمن وجوهًا للخير في نواحٍ ووجوهًا للشـرِّ في نواحٍ أخرى. مثال ذلك أنَّ الظُّلْمَ يصدُرُ عنْ قوَّةٍ تطلب الغلبةَ والقهرَ وهي القوَّةُ الغضبيَّةُ والتي خلَقَها الله لأجْلِ صدورِ الغلبة عنها، فليس في ترْتيبِ وجودها أو فعاليتها شرٌّ بل الشرُّ هو عدَمُها أو عدمُ فعاليتها فتكونَ النتيجةُ هي القهرُ والضعْفُ والعجز. لكنَّ الشرَّ الحاصل منها هو بالنِّسْبَةِ للمظْلومِ بفُقْدانِ نفْسِهِ أوْ ماله أو قدرته، وبالنسبة للظالم من جهة وضْعِ الغلبةِ والقهْرِ في غيْرِ موضعه، فعدلَ به عنْ محلِّهِ إلى غيْرِ محله، ولو اسْتعْملَ الغلبةَ والقهْرَ على المؤذي الباغي من الإنسان والحيوان لكان خيرا لكنَّهُ عَدَلَ به عنْ موضِعِهِ السليم. مثلَ ماءٍ جارٍ في نهر يسقي الأرضَ البور المتشققةَ فينمو العُشْبُ الأخضرُ، فالخيرُ والكمالُ في جريانِهِ حتى يصلَ إليها فإذا عدَلَ به عن مجراه إلى أرضَ يغرِقُها ويضُرها ويخربُ دورَها كان الشرُّ في هذا العدول وليس في النهر ومائه الجاري. فهكذا الإرادة والغضب أُعِينَ بهما العبْدُ ليحصلَ ما ينفَعُهُ ويقهرُ به عدوَّهُ وما يؤذيه فإذا استعملا في ذلك فهو خيرٌ وإذا انْصرَفا إلى غيْرِ ذلك كان شرًّا نسبيًّا إضافيا.

كذلك النارُ كمالُها في إحراقها فإنَّ أحْرَقَتْ ما ينبغي إحراقُهُ فهذا خيرٌ وإنْ صادفتْ ما لا ينبغي إحراقُهُ فأفسدته فهذا شرٌّ إضافيٌّ بالنسبة إلى المحل المعين.

وكذلك الوطْءُ فإنَّ قدْرَةَ الفاعلِ وقابليَّةِ المفعول كمال ولكنَّ الشرَّ في العدول به عن الموضع الذي يليق به إلى محلٍّ لا يليق ولا يحسن، وكذلك حركاتُ اللسان والجوارح كلُّها جاريةٌ على هذا المجرى.

فيظهر من هذا التقرير أنَّ دخولَ الشَّرِّ في الأمور الوجوديَّةِ إنَّما هو نسبيٌّ إضافيٌّ وليسَ ذاتيًّا أيْ بالنِّسْبةِ والإضافة وليْسَ من جهةِ ذاتِ الشَّيْءِ نفْسِهِ،

فالسجود –على سبيل المثال– في ذاته ليس شرًّا لكنَّهُ إنْ أُضِيفَ لغير الله كان شرًّا بهذه النسبة والإضافة .[16]

وللمزيد حول مُشْكِلَةِ الشَّرِّ أنصح القارئَ الكريمَ بمطالعة كتاب (الجوابُ عن سؤال الشّر) من إعداد اللجنة العلمية بـ(منتدى التوحيد)، [17] فهو يحْوي نخبةً منتقاةً من المقالات والمناظرات والحوارات في المنتدى المتعلقة بقضية وجود الشر في العالم وعلاقته بوجود الله سبحانه وتعالى واتصافه بالكمال.

تناقض القدرة الإلهية:

ومن أشْهَرِ صِيَغِ هذه الأسئلة التي تسعى إلى إيجاد تناقضاتٍ وإشكالياتٍ في مفهوم الله نفسه سؤالهم الباطل: هل يستطيع اللهُ أنْ يخلقَ صخْرةً لا يقْدِرُ على حملها؟ أوْ هل يستطيعُ اللهَ أنْ يخلقَ إلهًا غيرَه؟ وهو ما يعرف باسم (تناقض القدرة الإلهية Paradox of Omnipotence)، ويهدف إلى توْليدِ إشْكالٍ في مفْهوم قدرة الله المطلقة بما يجعله ذريعة إلى القول باستحالة فكرة الإله نفسها.

فالله سبحانه وتعالى على كلّ شيءٍ قدير وقُدْرتُهُ مطلقةٌ لا يقيدها شيء؛ لكنَّنا في الحقيقة نستعمل كلمات القدرة وعدم القدرة والاستحالة بصورة مرتبطة بقدرات وإمكانيات الفاعل وليس بحقيقة المفعول، كيف هذا؟

إذا سألتني مثلا: هل تستطيع أنْ تحضرَ لي كتاب (شرح العقيدة الطحاوية) فسوف أجيبُ بأنّي لا أقدرُ على هذا لأنّي خارجَ المنزل مثلا؛ لكنّي إنْ بلغتُ المنزلَ ساكون قادرًا على إحضار الكتاب وإذا كنت مريضًا ولدي مشكلةٌ طبيةٌ

---

[16] لمزيد من التفصيل انظر ابن القيم، مصدر سابق، ص٣٩٧–٤٠٧.

[17] كتاب منتدى التوحيد (الجواب عن سؤال الشر)

http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?58832.

خطيرةٌ في عينيّ تطلبت تغطيتهما بالضمادات فسوف أجيب بأني لا أقدرُ على إحضار الكتاب؛ لكني ربّما استطعتُ بمساعدة أهْلِ بيتي أو حتى بعد شفائي من المرض. في هذا المثال عدَمُ القُدْرة أو الاستحالة مرتبطة بي وبإمكانياتي وبقدراتي.

حسنٌ ما رأيْكم لو انتقلنا لمثال آخر؟ هل يمكن لي أنْ أضَعَ قطعةً من الشكولاتة داخلَ صندوق الحلويات وتظل خارجه في نفس الوقت؟ أظن الإجابة ستكون أنَّ هذا غيْرُ مُمْكِن، لماذا؟ لأنَّ هذا الأمرَ متناقضٌ في ذاته وبالتالي فهو مستحيلٌ جوهريا. هنا عدَمُ القدْرةِ أوْ الاستحالة ليْسَتْ متعلقةً بالفاعل بلْ بالمفعول نفسه فهو مستحيلٌ وغيْرُ مُمْكِنٍ وغير مقدور عليه لأي فاعل مهما بلغت قدرته في أي عالم من العوالم وتحت أي ظرف من الظروف.

نخْلُصُ من هذا أنَّ الفِعْلَ المستحيلَ أوْ غيْرَ المُمْكنِ أوْ غيْرَ المقدورِ عليه قد يكون كذلك (١) إمّا بالنسبة إلى الفاعل أو (٢)بالنسبة إلى المفعول. والله جلَّ وعلا قادرٌ على كل شيء؛ أمّا الأمورُ المتناقضةُ ذاتيًّا وجوهريًّا فليست بشيء بل هي مستحيلةٌ بأيِّ اعتبارٍ لهذا يقول (أبو العز الحنفي) رحمه الله: "وأما أهل السنة: فعندهم أن الله على كل شيء قدير، وكل ممكن فهو مندرج في هذا، وأما المحال لذاته، مثل كون الشيء الواحد موجودًا معدومًا في حال واحدة، فهذا لا حقيقة له، ولا يتصور وجوده، ولا يسمى شيئًا باتفاق العقلاء، ومن الباب خلق نفسه، وإعدام نفسه، وأمثلة ذلك من المحال". [١٨] وطالما هي مستحيلةٌ في ذاتِها فلا تتَعلَّقُ قدْرةُ الله تعالى بها ولا يقال هل يقدر الله عليها أم لا، لأنَّ وجودها في نفسه مستحيلٌ وغير ممكن ومن امثلتها: هل يستطيع الله أنْ يمنحَ زيدًا نعمة

---

[١٨] أبو العز الحنفي، "شرح العقيدة الطحاوية"، دار ابن رجب، ص٩٠.

البصر ويحرمه منها في نفس الوقت فيكون أعمى ومبصرًا معا؟ هل يستطيعُ الله أنْ يمنحَ الإنسانَ القدرةَ على الطيران في الجوّ ويحرِمَهُ منها في نفس الوقت فيكون قادرًا وعاجزًا معا؟

وللمزيد من البيان والتوضيح أضَعُ لك عزيزي القارئ نصَّ جواب اللجنة العلمية بمنتدى التوحيد حيْثُ إنَّهُ من الأجوبة النموذجية في هذا الباب.

"الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد.. بامثال هذه الأسئلة غير المعقولة واللامنطقيّة يحاول الملاحدة التشغيب على المسلمين ليُدخلوا في قلوبهم الوهن في معتقدهم بالله سبحانه وتعالى وبكمال أوصافه وجمال نعوته، فينشغل من لا حظّ له من العلم النافع والعمل الصالح فيما لا فائدة فيه، ويُفرغون أوقاتهم الثمينة في مسائل لا طائل من ورائها، في الوقت الذي يتناسون فيه هشاشة الإلحاد وبناءه القائم على شفير الأوهام والخيلات، والكذب والافتراءات.

إنَّ السؤالَ السابقَ داخلٌ ضمْنَ جمْلةٍ ما يُسمّى بالمتناقضات (Paradoxes) وهي مجموعةٌ من الأسئلة التي تحتوي على متناقضات فلا يمْكِنُ الإجابةُ عليها بالنفيّ أو الإثبات لأنَّها في الأصْلِ أسئلةٌ خاطئةٌ مغلوطة.

وفي الواقع ثَمَّةَ الكثيرُ من هذه الأسئلة المتناقضة ونقْتَصِرُ على سبيل الإيجاز على الأمثلة التالية:

المثال الأوّل: سنرْمزُ للجملة التاليةِ بالرَّمْز (أ) فنقول:

(أ): العبارة (أ) خاطئة، فهل العبارة (أ) صواب أم خطأ؟

هنا نقع في التناقضَ (Paradox) لأنَّ العبارة (أ) لو كانتْ صوابًا فهي خطأ وإنْ كانتْ خطأً فهي صواب.

المثال الثاني: سؤالنا: هل تستطيعُ أنْ تتكلمَ بصوتٍ مسموعٍ لا يُسمع، كذلك نقَعُ هنا في التناقض إذ كيف يكون الصوتُ مسموعاً وهو لا يُسْمع في ذات الوقت؟

المثال الثالث: سؤالنا: هل يسْتطيعُ الله بقدرته الكاملة أنْ يكونَ بلا قدرةٍ كاملة؟ وهنا ينقض أوّلَ الجملة آخرها.

إذًا فأمثال هذه الأسئلة لا جوابَ لها وعدم الإجابة عنها لا تعني بأنَّ المسئول عاجزٌ عن الإجابة عنها بلْ الشأنُ كلُّهُ في خطإِ السؤال نفسه.

إذا أدركنا ذلك، فيمكننا تحليل السؤال السابق لنقف على وجه التناقض فيه فنقول: هذا السؤال يمكن كتابته بطريقة أخرى: هل يستطيعُ اللهُ أنْ يُعَجِّز قدرته بقدرته؟

والتناقض إنَّما هو في الجمع بين الضدّين فكيف يكون الخالق سبحانه وتعالى كامل القدرة في الوقت الذي ليست له قدرةٌ كاملة؟ تعالى الله عمّا يقولون علوّا كبيرا.

إنَّ أوّلَ الجملة التي وردت في السؤال تُثبت أنَّ الله قادرٌ على كلّ شيء وآخرها يسأل عن قدرته على خلقِ صخرةٍ يعجز عن حملها والعجزُ عن حمْلها هو نقصانٌ في القدرة فنقضَ أوّل الجملة آخرها.

ونحن نعلم أنَّ الله على كلّ شيء قدير؛ لكنّ القدرةَ لا تتعلق بالمستحيل – والاستحالة المقصودة في مثالنا هو الجَمْعُ بين الضدّين في الوقت نفسه والجهة

نفسها-، فإنَّ اللهُ قادرٌ على كل شيء، والمستحيلات والممتنعات ليست بشيء ولهذا فالله قادر على كلّ ممكن؛ وأمّا ما هو مستحيل فلا يصح أن تتعلق به قدرة الله تعالى لأنَّهُ ليس بشيء حتى تتعلق به قدرة الله تعالى.

ولا يقال عن المستحيل أنَّهُ شيء إلا بمعنى أنَّهُ شيء في الذهن لا في خارج الذهن وكلامنا هنا عن الإمكان الخارجي لا الذهني.

فتبين بهذا بطلان السؤال عن تعلق قدرة الله تعالى بالمستحيل، وهذا البطلان لكون المستحيل ليس بشيء أصلًا لأنه مستحيل، ولو تعلقت به القدرة لما كان مستحيلًا ولكان شيئًا ممكنًا تتعلق به القدرة.

وإذا كان الفرض أنه مستحيل ثُمَّ تعلقت به القدرة لصار ممكنًا لا مستحيلًا فبطل الفرض الأول بأنَّهُ مستحيل.

فإذا قال قائل: "قدرة الله محدودةٌ في الممكنات" بيّنا له بطلان قوله؛ فإنَّ عدَمَ تعلّق قدرة الله بالمستحيل فذلك ليس لعدمِ القدرةِ وإنَّما لعدم ما تتعلق به القدرة الثابتة.

وهذا كما أنَّ علم الله ثابت وشامل إلَّا أنَّ عدم علمه بوجود رب خالق غيره لا يعني نقص العلم وإنما يعني عدم المعلوم في نفسه أصلًا -اي عدم وجود خالقٍ آخر غير الله- فلا يتعلق علم الله به.

فكذلك عدم تعلق قدرة الله تعالى بالمستحيل ليس لعدم القدرة بل لعدم المستحيل في نفسه أصلًا فلا تتعلق قدرة الله به. والله تعالى أعلى وأعلم.[19]

---

[19] اللجنة العلمية، سألوا فاجبنا، منتدى التوحيد.

http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?27664.

تناقض العلم الإلهي:

وهي شبهةٌ يطرحُها الملحدون بخصوص علم الله المطلق وخلاصتُها أنَّ الله العليمَ يعلمُ المستقبلَ ويعلم ما سوف يقع في المستقبل وما سوف يفعل في المستقبل وطالما هو يُعَرَفُ ماذا سيفعل في المستقبل، فهو لن يقدر أنْ يغيّرَ افعاله عما هو مقرر سابقًا في علمه المطلق المحيط وعدم قدرته هذه تتنافى مع كوْنِهِ مطلقَ القدرة وعلى كل شيء قدير. ويطرح الملحد الشهير ريتشارد دوكينز هذه الشبهة مؤكدًا أنه لا يمكن الجمع بين صفات العلم المطلق والقدرة المطلقة في ذات واحدة، ثم يستشهد ببيت شعري لـ(كارين أوينز Karen Owens) معناه: هل يمْكِنُ للهِ العليمِ أنْ يجدَ في نفسه القدرة على تغيير علمه بالمستقبل؟[٢٠]

والحقيقةُ أنَّ هذه الشبهةَ مثلُ سابقتها حوْلَ القدرة الإلهية تشتمل على فهْمٍ مشَوَّهٍ للصفات الإلهية، فكما لا يفْهمُ الملحدُ متعلقاتِ القدرة الإلهية هو كذلك لا يفْهَمُ معنى صفةِ العلمِ التي هي في جوهرها صفة كاشفة وليست مؤثرة، بمعنى أنَّ علمَ الله بالمستقبل لا يؤثر على المستقبل، بل هو مجرد كاشف له واطلاع عليه لا أكثر. لأجل هذا نحن نقول دومًا: إنَّ علمَ الله بالمستقبل لا يؤثر في سير الأمور بالمستقبل ولا يحدد وجهتها لأنَّ التأثيرَ والفعلَ من مقتضيات الصفات الفعلية المرتبطة بالإرادة، فحقيقةُ أنَّ اللهَ يعلمَ المستقبلَ لا تعني أنَّهُ مجبّرٌ على فعل المستقبل حسب علمه، بل هذا هو مجرد انكشاف للمستقبل لا أكثر. ولوضع المسألة في صورتها الصحيحة ينبغي كذلك أن يكون واضحًا أن علم الله بالمستقبل لا يؤثر كذلك على أفعال العباد الإرادية في المستقبل ولا يمثل إجبارًا لهم على التصرف بشكل معين، بل صفة العلم هي صفةٌ كاشفَةٌ لا أكثر، والعلم

---

[20] Dawkins, "The God Delusion", p, 78.

المستقبلي هو مجرد انكشاف المستقبل للذات العالمة وليس هو صفة مؤثرةً في المستقبل سواء في أفعال الله أو أفعال العباد لأنَّ مصدرَ التأثير ليس هو صفة العلم بل صفة الإرادة.

لذا نقول في جواب هذه الشبهة: إنَّ قدرةَ الله وإرادتَهُ غيْرُ محدودة وهو جلَّ وعلا فعالٌ لما يريد وعلى كل شيء قدير ومهما كانتْ إرادتُهُ وأفعالُهُ المستقبليةُ فإنَّ علمَهُ المستقبليَّ هو محضُ انكشافِ هذه الأفعال له تبارك وتعالى واطِّلاعِهِ عليها قبل وقوعها، وليس هذا العلم المستقبلي مصدرَ تأثيرٍ أوْ إجبارٍ لله على فعْلٍ معيَّنٍ حتى يؤدي هذا إلى الحدّ منْ قدرتِهِ المطلقةِ كما يتوهم الملاحدة. "فإنَّ الرَّبَّ إذا علِمَ من نفسِهِ أنَّهُ سيفعل كذا لا يلْزَمُ من علمِهِ ذلك انتفاءُ قدرتِهِ على ترْكِه، وكذلك إذا علمَ من نفْسِهِ أنَّهُ لا يفْعَلُهُ لا يلزم منه انتفاءُ قدرتِهِ على فعله".[٢١] وبهذا الجواب تنزاحُ الشُّبْهَةُ تمامًا وتبقى بعدها كلماتُ (كارين أوينز) كصحراءٍ جرداءَ يُلْقي الإنسانُ نظرَةُ عليها لتكونَ له عبرةٌ كديارِ عادٍ وثمود.

---

[٢١] ابن أبي العز الحنفي، مصدر سابق، ص٢٤٨.

الفصل الرابع

نقد أطروحات الإلحاد

نقد أطروحات الإلحاد

(علاقة الإلحاد بالأخلاق وحرية الإرادة)

سؤال الأخلاق:

تناولنا عند الكلام عن الفطرة مسألة القيم الأخلاقية وفطريتها وكونها راسخة مركوزة في النفس غير مكتسبة، وأنها من الأدلة على وجود الله سبحانه وتعالى وخالقيته لهذه الفطرة الأخلاقية. ويخالفنا الملاحدة زاعمين أنَّ الأخلاقَ إنَّما هي نتاجُ المجتمع والبيئة والتلقين ونحن نوافقهم في وجود دور للمجتمع والبيئة والتلقين في التأثير على المنظومة الأخلاقية لدى الفرد؛ لكن هذا لا يعني انتفاء الفطرة على الإطلاق بل لا تزالُ موجودةً وحاضرةً على مستوى القيم والمبادئ الأخلاقية المطلقة مثل (الصدق والمروءة والأمانة). هذه المبادئ المطلقة في حال التطبيق وعلى أرض الواقع تكونُ مرتبطةً بالعديد من المحددات والمقيدات والارتباطات تخرج بها من الحالة المطلقة إلى حالاتٍ متعددةٍ جزئيةٍ تختلفُ في حكمِها حسب ارتباطها بمبادئ النفعية والحاجة و الضرورة و غيرها من المقيدات الواقعية –السياق التاريخي–، وتكون الارتباطاتُ بينها على أرض الواقع مختلفةً من حيثُ درجةِ التَّعقِيدِ والبساطة، حيث بعض المبادئ حسابات المصالح والمفاسد في ارتباطاتها تكون مباشرةً يسهل إدراكُها على عامة الناس لهذا تجدُ شبه إجماع عليها وبعضها الآخر ارتباطاتها دقيقة ومتشعبة مما يجعل التفريق بين الأحوال التي تكون مباحةً فيها والأحوال التي تكون محرَّمَةً فيها متعذرةً على أغلب العقول البشرية. لهذا تجد اختلافًا شديدًا بين الناس في تحديدها ما يفرض ضرورة الرجوع إلى حكمة أعلى و أكبر من الحكمة البشرية مدركة لتعقيدات

المصالح والمفاسد في الوجود لتحكم فيما يختلف فيه الناس. ولهذا فلا تظُنَّ أنَّ من قرروا إلقاءَ قنبلة (هيروشيما) مثلًا لم يكونوا على درايةٍ بالمنظومات القيمية والأخلاقية بل منهم من كان على تكوين عالٍ من الناحية الحقوقية، إلَّا أنَّ حساباتهم لنفعية هذه الحقوق في الظروف الاستثنائية والموازنة بين مفسدة القتل الجماعي ومفسدة استمرار حرب كونية مع انعدام مرجع أعلى من ذواتهم أنفسهم في تحديد الحدود القيمية في جميع الظروف -وذواتهم هي طرف في الصراع نفسه- مما أدّى إلى تيقنهم بمبدأ أنَّ القويَّ هو من يصنع القيم والحقائق والأخلاق. كل هذا أدى لعدم ضبط معيار المعاملة بالمثل وأدّى الى الكارثة المعروفة.. وقد سمعت لونستون تشرشل في مجلس اللوردات أثناء الحرب يقول: إنَّنا في هذا الظرف لو استفتينا الناسَ الآن إنْ كان يجبُ علينا قذف مساكن المدنيين النازيين على نسائهم وأطفالهم كما يقصفونها على نسائنا وأطفالنا بالمثل لكانت النتيجة أغلبية ساحقة، وبالفعل تمَّ تهميش المعارضة القليلة في مجلس العموم البريطاني المنادية باحترام المواثيق الدولية في عدم التعرض للمدنيين. فهذا يدلك على أنَّ القيمَ والمبادئ المطلقة عنْدَ تطبيقها تتشابك وتقيد بعضها بعضا، وتحديد تشابكاتها وتوافقها مع معيار الصواب والخطأ قد لا تستطيع إدراكه كبار العقول البشرية لدقتها، وهي إشكالية معروفة عند من درس أصول القانون الدولي وفلسفته.

أما الملاحدة فينكرون وجود القيم الأخلاقية المطلقة ابتداءً ولا يعترفون إلا بتأثير المجتمع والبيئة والتلقين، وينكرون بطبيعة الحال الاحتياج أو الافتقار إلى حكمة أعلى لتحديد معايير الصواب والخطأ، فالأخلاق عندهم ذاتيةٌ انطباعيةٌ مصدرها الشخص نفسه وليست موضوعيةً ذات حقيقة مطلقة في الخارج، لهذا تجدُهم يخضعون الأخلاقَ للمنفعة واللذة ولا يأبهون لاعتبار الفطرة التي تنأى عن

القبائح والفواحش. ففي (الدنمارك) التي توجدُ بها أغلبية ملحدةٌ نجد أستاذ القانون الدانماركي البروفيسور (فاجن جريف Vagn Greve) يطالب بعدم تجريم زنا المحارم، [١] ويعلل ذلك بأنَّهُ طالما العلاقة بين بالغيْن بمحْض إرادتهما الحرة فلا يحقُّ للدولة التدخل والعقاب، ويقترح حذْفَ القانون الذي يعاقب بالسجن ستّ سنوات من يمارس زنا المحارم. وهناك غيرُهُ من الأحزاب السياسية في الدنمارك من يرى أنَّ هذا التجريم (موضة قديمة) ولابُدَّ من زواله، ومن علماء الجينات من يرى أنَّ التزاوج داخل العائلة الواحدة قد يكون مفيدًا من الناحية البيولوجية. [٢] لأجْلِ هذا دافعَ الملحد (لورانس كراوس Lawrence Krauss) عن زنا المحارم في مناظرته مع الداعية الإسلامي (حمزة تزورتزس Hamza Tzortzis) زاعمًا أنَّهُ لا غضاضةَ فيه. [٣] ثُمَّ قام (ريتشارد دوكينز) بنشر تغريدة له على تويتر معبّرًا فيها عن احتقاره لمن يستنكرون زنا المحارم أصلا. [٤]

وعلى نفس المنوال يدعو البروفيسور الاسترالي الملحد (بيتر سينجر Peter Singer) إلى تشجيع ممارسة الجنس مع الحيوانات (Bestiality) وعدم اعتباره من المحرمات! [٥] كذلك تدعو (آن هيندرشوت Anne Hendershott) أستاذة

---

(1) Adult Cousin & Sibling Incest Marriage is Justified, even legal, says Dr. of Law Prof. Vagn Greve :
https://www.youtube.com/watch?v=ytO4tWsAAXQ

(2) Aarhus siblings' love child sets off incest debate:
http://cphpost.dk/news/aarhus-siblings-love-child-sets-off-incest-debate.3273.html

(3) Incest is not clearly wrong - Lawrence Krauss:
https://www.youtube.com/watch?v=iCfFQIDvetg

(4) https://twitter.com/RichardDawkins/status/312320023035273216

(5) Atheism and Bestiality - Atheist Peter Singer:
https://www.youtube.com/watch?v=2pGo1ASbgyM

علم النفس والاجتماع بمراجعة مفهوم الممارسة الجنسية مع الأطفال (Pedophilia) وعَدَمِ الخَجَلِ منه بل الاحتفاء به.[٦]

وعلى مستوى آخرٍ يدعو بعض الباحثين المتخصصين في الأخلاق الطبية إلى عدم اعْتبار قتل الأطفال جريمة لأنَّ الطفلَ مثلَهُ كالجنين ليس شخصًا كاملًا ولَمْ يكتسبْ بعْدُ حقَّ الحياة، فلا فرقَ -أخلاقي- بين الإجهاض وقتْلِ الأطفال،[٧] ويؤيد ريتشارد دوكينز هذا الكلامَ بأنَّهُ لا يعترضُ إطلاقًا على قتْلِ الأطفال (Infanticide)، بل يشجعه،[٨] ثُمَّ هو يرى أنَّهُ لا غضاضةَ في الإجهاض مبررًا هذا بأنَّ الجنينَ أدنى منزلةً من الخنزير.[٩]

وبمناسبة قتْل الأطفال لا ريْبَ أنَّ عديدًا من الممارسات التي أنكرها الإسلام عند العرب الجاهليين مثل وأد البنات وقتل الأطفال خشية العار أو خشية الفقر والإملاق كان لها عند القوم مبررات ومسوغات، ولا ريب أنَّهُ كان لها منظرون ومتكلمون بارعو اللسان يسوغونها ويقررونها أحسن تقرير حسب القيم والمبادئ المجتمعية في هذه العصور البعيدة؛ لكنَّ الإسلامَ جاء بتقرير أنَّ منْحَ الحياة وسلبها هو حق حصري مطلق لله عز وجل، وأنه لا يجوز لأحد من البشر سلب هذه الحياة من أي مخلوق إلا بأمر الله تعالى، سواء كان أمرًا مباشرًا كما في قصة

---

(6) Meet the academics who are trying to redefine pedophilia as 'intergenerational intimacy':
http://www.lifesitenews.com/opinion/meet-the-academics-who-are-trying-to-redefine-pedophilia-as-intergeneration?

(7) Killing babies no different from abortion, experts say:
http://www.telegraph.co.uk/health/healthnews/9113394/Killing-babies-no-different-from-abortion-experts-say.html.

(8) twitter.com/RichardDawkins/statuses/502106262088466432.

(9) Atheist Dawkins supports infanticide:
https://www.youtube.com/watch?v=8IOL12MvXXQ.

الخضر عليه السلام مع الغلام أو أمرًا عامًا كتشريع القصاص من القاتل. وبالتالي فلا يجوز في الإسلام قتل الأطفال خشْيَةَ العارِ أو الفقر أو حتى لمسوغات طبية أو اجتماعية تربوية، فالمبدأ قد تقرر أن الحياة البشرية فوق كل هذه الاعتبارات.

وطالما بلغنا هذه النقطة فللمرء أنْ يتوقف متعجبًا من هؤلاء القوم الذي يبيحون الزنا مع الأطفال والمحارم والحيوانات، ثم تجدهم يستنكرون زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة (عائشة رضي الله عنها) وهي في سن التاسعة، رغم أنَّها كانتْ حينها في سنّ البلوغ أوْ يطعنون في تشريعاتٍ إسلاميَّةٍ مثل تعدد الزوجات أو سنّ الزواج أو غيرها. فلا ريْبَ أنَّ من يسعى لإبراز جانب المصلحة والحكمة في هذه التشريعات سيكون كلامُهُ أكْثَرَ قبولًا بمراحل عند المنصف من تبريرات الملاحدة لارتكاب الفواحش مع المحارم والأطفال والحيوانات.

حرية الإرادة:

وهنا نتناولُ مشكلةً أخرى مثيرة للقلق وهي مشكلة الإرادة الحرة المنهجية الماديَّة الاختزاليَّة الصارمةِ تقضي بوقوع الحتمية السببية Causal Determinism، فالأمور لا تَقَعُ اعتباطًا بل هي محكومةٌ بقوانين صارمة والكائنات كلها تسير بهذه القوانين في دقَّةٍ بالغَةٍ مثل ساعة جامعة القاهرة. فنحْنُ في نهاية الأمر مجرَّدَ آلات والإرادة الحرة وهُمْ لا أكْثر أو كما يقول الملحد الشهير (سام هاريس) في كتابه (الإرادة الحرة Free Will): "إنَّنا مجرَّدَ دُمًى بيوكيميايةٍ تسيِّرُها قوًى تتجاوزُ التحكُّمَ الواعي. ويشرح (جيري كوين Jerry Coyne) البروفيسور التطوري بجامعة (شيكاغو) القضيَّةَ بقوله: "إنَّ المُخَ وأعضاءَ الجسم هُمُ الأَوْعِيَةُ التي تتخذ القرارات وهم عبارةٌ عن جزيئات وترتيبُ ونظام هذه الجزيئات محددٌ سلفًا عن طريق الجينات والبيئة المحيطة، وإنَّ قراراتِنا مبنيةٌ على نبضات كهربية نابعة من

هذه الجزيئات ومواد كيميائية تنتقل من خليَّةٍ عصبيَّةٍ إلى اخرى، وإنَّ هذه النبضاتِ والكيماوياتِ لابُدَّ أنْ تَتَبَعَ القوانين الفيزيائية، وبالتالي فاختياراتُنا لابُدَّ أنْ تطيعَ هذه القوانين". ويؤكّدُ هذا المعنى بأنَّ قولَنا: إنَّنا يمكنُنا اختيار خلاف ما اخترناه بالفعل يعني أنَّنا يمْكِنُ أنْ نسيرَ خارجَ إطارِ التركيب الفيزيائيِّ للمخ وتغيير طريقة عمله وهذا باطل، كما أنَّه من البطلان أنْ يخرج لنا برنامج جهاز الكمبيوتر ايَّ نتيجةٍ خلاف النتيجة المبرمجة مسبقًا فيه. ولهذا هو يخلصُ بوضوحٍ إلى نتيجة أنَّ حريةَ الإرادة مجرَّدُ وهْمٍ وأنَّ من يرى خلاف هذا فعليه عبءُ الإثبات. ثم هو يجيب المعترضين عليه بكوننا نشعر بحرية الإرادة بأنَّنا كبشر مصممين عن طريق التطور الداروني لنعتقد ونتوهم أنَّ لدينا إرادة حرة. (١٠) ويتفق (مايكل جاتزانيجا Michael Gazzaniga) مؤلف كتاب (من المسئول؟ الإرادة الحرة وعلم المخ Who's In Charge ? Free Will And The Science Of The Brain) مع هذا الرأي؛ لكنَّهُ يرى أنَّ الحتميةَ الفيزيائيَّةَ لا تتعارض مع مسئولية الفرد عن افعاله لأنَّ كلًّا منهما يعمل في مستوى مختلف، فمجال حرية الإرادة ليس هو كيمياء المخ بل هو شبكةُ العلاقات المجتمعية للفرد، فنحن —حسب رأيه— تطورنا بحيث نطيعُ ونتبعُ قوانين المجتمع، وبالتالي فمخالفة القوانين يستوجب العقاب والحتمية البيولوجية لعمل المخ لا ترْفَعُ المسئولية الشخصية. (١١) وهذا الكلام واقعيًّا متناقض ويخلو تمامًا من الوجاهة، ويرد عليه جيري كوين بأنَّهُ لا توجد مسئوليةٌ أخلاقيةٌ على الفرْدِ في حقيقة الأمر؛ لكنَّنا بحاجة فقط إلى نظام للثواب والعقاب

(10) Jerry A. Coyne, "You Don't Have Free Will", 18 March 2012 at: http://chronicle.com/article/Jerry-A-Coyne/131165/.
(11) Michael S. Gazzaniga, "Free Will Is an Illusion, but You're Still Responsible for Your Actions", 18 March 2012 at: http://chronicle.com/article/Michael-S-Gazzaniga/131167/.

حتى نحافظ على المجتمع ولأنَّ وجود القوانين يغير أمخاخَ الناس عن طريق تثبيط أوْ تحفيز الأفعال الصادرةُ عن المخ. ثم هو يرفضُ أنْ نصوغَ العقوبات بمبدأ الانتقام المبني على الاعتقاد الزائف بأنَّ الناسَ تختارُ فعلَ الخطأ بإرادتها الحرة. [12]

وترى (هيلاري بوك Hilary Bok) الأستاذ المساعد بقسم الفلسفة بجامعة (جون هوبكينز) ومؤلفة كتاب (الحرية والمسئولية Freedom And Responsibility) أنَّ للفلاسفة رأيًا آخرَ فيما يتعلق بحرية الإرادة وهو مذهب (التوافقيين Compatibilists) الذين يرون أن الحتمية الفيزيائية لا تنفي حرية الإراد بل هي تعمل في إطارها فيكون المرء –حسب هذا المذهب التوافقي– مجبور بالحتمية الفزيائية في حقيقة الأمر؛ لكنَّهُ يشْعُرُ ظاهريًّا بحرية الإرادة ويختار في النهاية ما هو مبرمجٌ لاختياره لا أكثر. [13] وهذا في الواقع شبيهٌ باعتقاد الجبر الأوسط عند الأشاعرة أوْ ما اصطلحوا عليه بقولهم: إنَّ الإنسانَ مخيّرٌ ظاهرًا ومجبورٌ باطنًا وهو اعتقاد مخالفٌ للكتاب والسنة وللعقل. أما (أوين جونز Owen Jones) أستاذ القانون وعلوم البيولوجيا بجامعة (فاندربيلت) وأحد مؤلفي كتاب (القانون وعلم الأعصاب Law And Neuroscience) فيرى أنَّ الإنسانَ مجبورٌ في اختياراته سواء شاء أو أبى وأنَّ أفعالَ الإنسان لابُدَّ أنْ تصدرَ عن سبب، وبالتالي فالكلام عن حرية الإرادة وأنَّها غيْرُ محكومةٍ أو مجبورةٍ بالعوامل الفيزيائية والاجتماعية والبيئية والاقتصادية وغيرها، ولهذا فلابُدَّ أنْ نقبلَ بالحتميَّةَ السببية. ونحن قد تطورنا كآلات مبرمجة على الاختيار والبقاء كان للماكينات البيولوجية

---

[12] Jerry A. Coyne, op. cit.
[13] Hilary Bok, "Want to Understand Free Will? Don't Look to Neuroscience", 18 March 2012 at: http://chronicle.com/article/Hilary-Bok/131168/.

التي تعطي أفضل الخيارات.[١٤] كذلك يرى (بول بلومPaul Bloom) أستاذ علم النفس وعلم الإدراك بجامعة يال ومؤلف كتاب (مجرد أطفال: أصول الخير والشر Just Babies: The Origins Of Good And Evil) أنّنا مجرَّدُ كائناتٍ ذاتِ طبيعةٍ فيزيائيَّةٍ وأنَّ طبائعنا تحددُ من نحن وماذا نفعل، وأنَّ أفعالَنا كلَّها محددة سلفًا بقوانين الفيزياء وبأحوال الكون قبْلَ أنْ نولدَ بفترة طويلة، ونحْن لمْ نختزْ أيًّا من هذا وبالتالي فلا وجود للإرادة الحرة.[١٥]

فخلاصةُ مذهب القوم أنّنا مجرَّدُ آلات بيولوجية لا تملك حتى حرية الاختيار ولا أدري حقيقةً كيف يقنعون أتباعَهم بهذا المذهب، والنفس البشرية شاهدةٌ بجلاء على حرية الاختيار لديها بما لا مِرْيَةَ ولا نزاع فيه. نحن لا نُنْكرُ بالطبع تأثير العوامل البيولوجية والبيئية وغيرها على قرارات الإنسان، إنَّما هي لا تنفي حرية الإرادة بالكلية لصالح الحتمية السببية. لكنْ يعيبُ المدارس المادية الاختزالية قديمًا وحديثًا هذا التطرف في تعيين أسبابِ أفعال الإنسان ف(فرويد) كان يرى أنْ العامل الجنسيَّ وحدَهُ هو المؤثر، و(ماركس) كان يرى أنَّ العاملَ الاقتصاديَّ وحْدَهُ هو المؤثر، و(داروين) كان يرى أنَّ عاملَ الصراع وحدَهُ هو المؤثر وهكذا. فهذا التطرفُ الماديَّ ليس غريبًا على مسالك القوْم في التفكير.

لكنَّ المشكلةَ الأكبَرَ هي أنَّ انْتفاءَ حرية الإرادة يعودُ بالإبطال على الملاحدة انفسهم لأنَّهم يدعون الناس إلى مذهبهم وطريقتهم، فلو كان الإنسان مجبورًا لا يملك حرية الإرادة لكانت دعوة الملاحدة غيرهم إلى الإلحاد هي دعوةٌ إلى ما لا

---

(14) Owen D. Jones, "The End of (Discussing) Free Will", 18 March 2012 at: http://chronicle.com/article/Owen-D-Jones/131169/.

(15) Paul Bloom, "Free Will Does Not Exist. So What?" 18 March 2012 at: http://chronicle.com/article/Paul-Bloom/131170/

يقدر المرءُ على فعله ولا حيلةَ له فيه ولا قدرة له عليه كمن يطلب من الأعمى الكتابة أو من القعيد الركض. وأعجب من هذا دعوة القوم إلى حرية الفكر وحرية الفعل في النطاق الاجتماعي والسياسي بينما هم يعتقدون أنَّ الحريةَ غيْرُ موجودةٍ أصلا وأنَّها مجرَّدُ وهْمٍ فأيُّ تناقض هذا وأيُّ تخبط.

والمرء يعلم علمًا ضروريًّا من نفسه أنْ يملكَ إرادة حرة وقدرة على الفعل حسب هذه الإرادة ويستطيع أنْ يميز بصورة واضحة لا لبس فيها بين ما هو مخير فيه -مثل الأكل والشرب والمشي- وبين ما هو مجبور عليه -مثل رعشة اليد أو شللها-، فهذه التفرقة تنبؤنا بأنَّ هناك فرقًا حقيقيًّا بين الحركات الإرادية والحركات اللاإرادية وهذا هو علم المرء بوجود الإرادة الحرة وجودًا حقيقيًّا لا ريب ولا مرية فيه.

فضلًا عن هذا فإنَّ مبنى القوانين والشرائع كلها هو الأمر والنهي، وتعلقها هو طاعة القوانين أو مخالفتها، فمن لا يملك الإرادة الحرة كيف يتصور أو يقوم بطاعة أو مخالفة أصلا؟ وإذا ارتفعت حقيقة الطاعة والمخالفة، ارتفعت معها حقيقة الثواب والعقاب، وكانت العقوبات وأحكام القضاء كلها ظالمة جائرة منافية للعدل. فانظر عزيزي القارئ كيف يكون نفي الإرادة الحرة منافيًا للعدل ولأيّ معنى أو قيمة في حياة الإنسان فضلًا عن منافاة العقل والحس والفطرة، ولا يبقى بعدها إلا العبث والخبط والعشوائية واليأس من أيّ معنى وقيمة.

الفصل الخامس

سبل مكافحة الإلحاد

سبل مكافحة الإلحاد

لماذا نهتم بمكافحة الإلحاد؟

١) لأنه أحد مجالات الدعوة عمومًا، ولأننا مأمورون بدعوة جميع الخلق إلى سبيل الحق والصواب، والإلحاد باطلٌ في نفسه وانحراف عن الحق والصواب -بل هو أقصى درجات الشذوذ والانحراف الفكري- لذا يجب مكافحته وتقليل شره.

٢) الحفاظ على دين المسلمين المقيمين في الغرب:

الجاليات والأقليات المسلمة المقيمة في بلاد الغرب تتعرض لقصف ثقافي وفكري إلحادي مركز خصوصًا أبناء المسلمين من الشباب والمراهقين والأطفال الذين يتعرضون لشبهات وتشكيكات الإلحاد في التلفزيون والمدارس والنوادي وغيرها. وهؤلاء عندما تواجههم هذه الإشكالات يلجئون بطبيعة الحال للمؤسسات الإسلامية والدعوية العربية الكبرى باعتبارها المخزون الثقافي والديني الاستراتيجي لهم ومصدر الدعم اللوجيستي المعلوماتي، وكذلك للدعاة المشهورين والشخصيات البارزة في مجال الفكر الإسلامي لتزويدهم بالأطروحات الإسلامية المناسبة لحماية أبنائهم من هذه الفتن وإكسابهم المناعة والحصانة ضد هذه الأفكار التي تحاصرهم في بلاد المهجر.

٣) تسرب الإلحاد إلى واقعنا المحلي وضرورة مواجهته:

لم يعد الإلحاد خطرًا خارجيًا فحسب بل صارت حصوننا مهددة من الداخل، وصار هناك دعاةٌ للإلحاد يعملون بدأب ونشاط بين شباب المدارس الثانوية والجامعات، وقاموا بتكوين بُؤَرٍ إلحادية في العديد من الأماكن مما يعكس رغبة

الملحدين داخل مصر في تكوين أنشطة جماعية تصلح لتكون نقاط انطلاق لتحركاتهم وفعالياتهم داخل المجتمع. كما أنَّ الأطروحات الإلحادية تغزو مجتمعاتنا عن طريق شبكة الإنترنت يقودها شخصيات ملحدة عربية تقيم في الداخل والخارج، ومنهم من يدعو الشباب والفتيات للهجرة إلى بلاد الغرب والحصول على حق اللجوء للاضطهاد الديني والجنسية الأجنبية وغيرها من المغريات.

٤) خطورة ترك هذا الملف لأصحاب الديانات الباطلة مع ما في خطابهم الديني من ثغرات وإشكاليات، كذلك من الخطأ تركه للمسلمين أصحاب الأخطاء العلمية والشرعية.

٥) الفقر البالغ في المكتبة العربية الإسلامية:

قلة الكتب النافعة في مواجهة الإلحاد الجديد تشكل ثغرًا خطيرًا في سياجنا الأمني. فليس من المقبول أنْ يكونَ متاحًا للشباب الاطلاع على كتب ومقالات وأفلام ووثائقيات عربية ومترجمة تروج للإلحاد بلغة يسيرة سهلة، وفي الجانب المقابل هناك صمت بالغ وفقر شديد في الكتب التي تتناول ظاهرة الإلحاد الجديد وتواجه شبهاته وأطروحاته، بل إن الكتب الموجودة للرد على الإلحاد لا تخلو من الأخطاء العلمية والشرعية بشكل يجعل ترويجها بين الشباب مغامرة غير مأمونة أو أنها كتب قديمة كانت مناسبة للرد على الإلحاد الشيوعي أو الدهريين القدامى لكنها لا تصلح لمواجهة التحديات الجديدة بنفس كفاءتها في الماضي. لهذا ينبغي علينا العمل الآن لسد هذا الثغر وإصلاح هذه الثلمة التي يتسرب بسببها الشباب إلى الإلحاد.

كيفية تناول ملف الإلحاد

بعد بيان أهمية تناول ملف الإلحاد سنقوم ببيان كيفية تناول هذا الملف على قسمين: محاور العمل في ملف الإلحاد، وتوصيات منهجية ضرورية للعاملين في هذا الملف.

أولا: محاور العمل في ملف الإلحاد:

فضلت في هذا القسم أن أستعمل نموذج د. جاسم سلطان في تجسير الأفكار وتجسيدها[1]، حتى نتمكنَ من تحويل أفكارنا في مواجهة ملف الإلحاد إلى واقع فعلي.

بحسب هذا النموذج هناك ثلاث مجالات للعمل في هذا الملف:

١) مجال الصناعات الفكرية الثقيلة، وهو المتعلق بمراكز الأبحاث والدراسات العلمية والشرعية على السواء، ومهمة هذه المراكز البحثية هو تناول أفكار الإلحاد وأطروحاته بالبحث والدراسة العميقين سواء على المستوى العلمي التجريبي أو المسعوى الفلسفي على أيدي خبراء مختصين وباحثين مؤهلين تأهيلاً نوعيًا للخوض في هذه القضايا، وإخراج نتائج مبنية على دراسات عميقة مؤصلة.

وأهم موضوعات هذا المجال:

- دراسة الإلحاد الجديد في الغرب وأطروحاته وأهم رموزه.
- ترجمة الأعمال الغربية التي ترد على الإلحاد وأطروحاته مع إثرائها بالحواشي والتعليقات التي تعبر عن رؤيتنا الدينية ثم نشرها، مثل مؤلفات ألفين بلانتينجا وريتشارد سوينبرج ووليم ديمبسكي وجون لينوكس.

---

[1] يوتيوب: تجسير الأفكار وتجسيدها – د. جاسم سلطان
www.youtube.com/watch?v=zaq_AwCuTJY

- نقد الإلحاد من ناحية العقل ومن ناحية آثاره المدمرة اجتماعيًا ونفسيًا وأخلاقيا.
- إعادة تحرير وصياغة الأدلة على وجود الله واستثمار المكتشفات العلمية الحديثة وآخر معطيات العلم التجريبي في هذا الباب.
- رد الشبهات حول وجود الله وأبرزها مشكلة وجود الشر وتسلسل العلل وتناقض القدرة الإلهية وتناقض العلم الإلهي.
- إعادة النظر في سبل الاستدلال على صحة النبوة وتطويرها بما يناسب الشبهات الجديدة بخصوصها.
- تناول دعاوى تناقض الإسلام مع العلم وتحرير النصوص التي يتوهم التناقض مع العلم بطريقة علمية شرعية منضبطة.
- نظرية التطور وموقعها من الشرع، وتفكيكها وتحليل أطروحاتها ونقدها نقدًا علميًا منضبطًا بالكتاب والسنة الصحيحة والتراث العقلي الإسلامي خصوصًا النموذج الفكري لابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل.
- النظريات الفيزيائية الجديدة التي يتم توظيفها لخدمة الإلحاد مثل عدم التأكد والتذبذب الكمومي والعوالم المتعددة.

٢) مجال الصناعات المتوسطة، وهو المتعلق بنشر الأفكار وترويجها وتيسيرها للعوام في الكتب والصحف والإعلام المكتوب والمرئي والمسموع والأفلام الوثائقية التاريخية والثقافية والعلمية والدروس الدينية والمحاضرات والندوات العامة، والغرض من خوض هذا المجال هو تقديم خلاصة أفكار مراكز البحوث إلى الناس بصورة سهلة يسيرة بناءً على خطط ومنهجية وأهداف مرحلية محددة تكون رسالتها العليا هي رفع مناعة وحصانة المجتمع ضد الفكر الإلحادي.

وأهم محاور دعوة العوام فيما يتعلق بهذا الملف:

- نشر دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الثقافة العامة والوعي الجمعي للمجتمع.

- الحث على عبودية التفكر في خلق الله، وهي تتضمن شقّين: النصوص الشرعية والآثار الواردة في الحث على التفكر ؛ وكيفية التفكر في خلق الله من خلال برامج تليفزيونية مثلاً تدعو الناس للتفكر من خلال آخر المكتشفات العلمية في مجالات البيولوجيا والخلية الحية والتشريح ووظائف الأعضاء والطب وعلوم الكون والفيزياء الحديثة على غرار برنامج (العلم والإيمان) لدكتور (مصطفى محمود).

٣) مجال الصناعات الخفيفة، وهو المتعلق بالدعوة الفردية وتقديم الاستشارات الفكرية والتربوية والنفسية للشباب المتشكك وأصحاب التساؤلات وأهالي الملحدين وأصحابهم وزملائهم في العمل والدراسة وتوفير الدعم الفكري والنفسي عند اللزوم، وكذلك التدخل السريع للحوار مع الملحدين بغرض هدايتهم أو مناظرتهم عند اللزوم. من المفيد الاستفادة من تجارب بعض المنتديات على شبكة الانترنت التي لها تجارب سابقة في هذا المجال خصوصًا منتدى التوحيد [٢]، وبحث سبل التعاون معها.

ولا يعني بالطبع هذا التقسيم أنَّ الصناعات الثقيلة أهم وأفضل من المتوسطة أو أنَّ المتوسطة تفوق أهميتها الخفيفة، بل كلُّها متساوية في الأهمية والحاجة إليها كلّها بالغةٌ جدًّا كما هو معلوم لكل متابع لملف الإلحاد في البلاد العربية.

---

[٢] رابط منتدى التوحيد على الإنترنت: www.eltwhed.com

ثانيًا: توصيات منهجية للعاملين في ملف الإلحاد.

١) الموضوعية في الطرح وفي وصف الواقع، ومن الأمثلة على هذا:

- لا توجد مصلحة في الكلام عن نظرية داروين بأنها انتهت وزالت من الوجود، بينما العكس هو الصحيح في المؤسسات العلمية الأكاديمية والجامعات الغربية. وتعتبر نظرية التطور الداروينية هي التفسير العلمي المعتمد في الجامعات والمؤسسات الأكاديمية في الغرب لظهور الأنواع المختلفة من الكائنات الحية على وجه الأرض، بل إن من يعارضها أو ينتقدها يلقى الكثير من التضييق والإقصاء من المجتمع العلمي حيث يتم منع أبحاثه من النشر في المجلات العلمية المعتمدة وحرمانه من الترقية في السلك الأكاديمي والطعن في مصداقيته العلمية.

- الامتناع عن استعمال ما يسمى بعلوم الطاقة والبحوث الروحية في الرد على الماديين، لأنها في كثير من الأحوال تكون غير موثقة ومفبركة حتى أنها تسمى بالعلم الزائف Pseudoscience، وتكون سببًا في فقدان مصداقية المدافع عن الإيمان وبالتالي خسارته لقضيته.

- البعد عن أطروحات الإعجاز العلمي إلا فيما ثبت صحته ودلالته بقين لأنَّهُ مجالٌ تكثر فيه المبالغات والمزايدات والتكلف في التاويل بشكل يؤدي إلى الضرر بقضية الإيمان كلها للأسف.

٢) عدم تسطيح الحالة الإلحادية واختزالها في عامل واحدٍ ثم تعميمه في (الملاحدة أتباع شهوات، موضة، طلب الشهرة).

٣) تجديد الخطاب الشرعي لأجل التعامل مع هذه النازلة العقدية –عودة الاهتمام بتدريس الأدلة على وجود الله وصفاته وصحة النبوة والحكمة الإلهية ووجود الشرور، إعادة صياغة الأدلة الشرعية بلغة عصرية مناسبة للجمهور–.

٤) ضرورة المساهمة الإيجابية والنشطة في مجال الردّ على الإلحاد (كتب، مقالات، ندوات، أعمال فيديوية .. إلخ)

٥) استثمار أدوات العلم التجريبي في الرد على الأطروحات الإلحادية (المعلومات الحيوية، الضبط الدقيق للكون، التعقيد غير القابل للاختزال.. إلخ)

٦) تحرير العلاقة بين النص الشرعي ومعطيات العلم الطبيعي خصوصًا عند وقوع التعارض، والانتفاع بنموذج ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل.

٧) عدم الاكتفاء بالدفاع وتوجيه النقد للأطروحات الإلحادية (الحتمية البيولوجية والسلوكية، موقف الإلحاد من الأخلاق).

٨) ليس من الضروري أن يدرس الباحث الرد على كل الشبهات، بل ينبغي أن تكون لديه منهجية يحتكم إليها، فمثلاً إن كانت الشبهة حول حديث نبوي فيكون السبيل لرد الشبهة هي التأكد أولاً من صحة الحديث ثم من معناه وتطبيقاته وسياقه وكيفية فهم الأئمة الأعلام له، وإن كانت حول آية في كتاب الله فيكون السبيل لردها هو النظر في سياق الآية وسبب نزولها وتفسيرها المعتمد عند السلف وموقعها بين الآيات التي تناولت نفس موضوعها، وهكذا.

٩) ترسيخ الحضور القرآني في الخطاب الموجه للملاحدة سواء الخطاب القرآني العقلاني أو الوجداني ؛ حيث أن له تأثيرًا مبهرًا في النفس وله قدرة عجيبة على استنطاق الفطرة الربانية داخل الإنسان.

١٠) الحث على عبودية التفكر في خلق الله في الخطاب الديني الموجه لعوام الناس (النصوص الواردة في الحث على التفكر، كيفية التفكر).

١١) التأكيد على نشر الاستعلاء الإيمانيّ وبث الانطباع بلاعقلانية الإلحاد.

الفهرس

الفصل الأول

الإلحاد الجديد

الفصل الثاني

الأدلة على وجود الإله

الفصل الثالث

أطروحات الإلحاد في مناوئة الأدلة على وجود الله

الفصل الرابع

نقد أطروحات الإلحاد

الفصل الخامس

سبل مكافحة الإلحاد

لم يعد الحوار بين الإلحاد والإيمان أمرًا خفيًا يسع المرء تجنبه أو عدم الاكتراث به. بل الحقيقة -التي لا ينبغي الجدال حولها- هي أن الصراع الدائر اليوم أصبح يشكل جوانب متعددة من الحياة..

من داخل هذا الصراع وفي ظل متغيرات سريعة تعصف بنا يوما بعد يوم رأت إدارة المركز تقديم هذا العمل "المختصر" ليكون بمثابة تمهيد لمن يريد معرفة ما يحدث وكيف يحدث، راجين أن يثري هذا العمل المكتبة العربية وأن يكون محل قبول من القراء الكرام.

مركز براهين


ISBN 978-977-85165-5-5

دار الكاتب للنشر والتوزيع
Dar Alkateb for Publishing and Distribution
العنوان: شارع شبين الكوم - الإسماعيلية - مصر
Dar-Alkateb.com - info@Dar-Alkateb.com
هاتف: (002)01015577460 - (002)01271031218